al-Nabhānī, Yūsuf ibn Ismāʿīl

Saʿādat al-anām

سعادة الأنام في اتباع دين الاسلام

وتوضيح الفرق بينه وبين دين

النصارى في العقائد

والاحكام

الـــنـبـهـانـــي



الحمد لله رب العالمين * وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد المرسلين وخاتم النبيين * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين * (أما بعد) فقد كنت منذ سنوات ألفت كتابا مختصرا سميته خلاصة الكلام في ترجيح دين الاسلام * وحصل له بفضل الله تعالى القبول التام * عند الخواص والعوام * مع ان هذا الدين المبين لا يشك عاقل بأنه سيد الاديان * وانه دين الله الحق المستغنى بشدة ظهوره عن التكلف فى اقامة الدليل والبرهان * ولكون أهل الاديان الاخرى لم يطلع أكثرهم على حقيقته * وربما وصفه لهم رؤساؤهم بغير صفته * أردت أن أذكر في هذا الكتاب بغاية الاختصار * حقيقة العقيدة الاسلامية المتعلقة بالله تعالى وأنبيائه الاخيار * مع بعض الاحكام الدينية * وحكمها المرضيه * ليظهر انه دين الله الحق لكل من له أدنى إلمام * من أولئك الاقوام * ولا سيما عند المقابلة بينه و بين ما فى دينهم من العقائد العجيبة والاحكام * وسميته ﴿سعادة الانام . فى اتباع دين الاسلام وتوضيح الفرق بينه وبين دين النصارى في العقائد والاحكام﴾ ورتبته على ثلاثة أبواب ﴿الباب الاول﴾ فى أوصاف الله تعالى وكمالاته الالهية * فى الديانة الاسلامية * ومقابلة ذلك بما في العقيدة النصرانية * من الاوصاف التى لا تليق بكمال الربوبية ﴿الباب الثانى﴾ فى أوصاف عبد الله ورسوله سيدنا محمد والفرق بينه وبين عبد الله ورسوله سيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام * مع ذكر تنزيه سائر الانبياء الكرام * عن العيوب والآثام * وذكر الكتب السماوية والفرق بينها عند ذوى الاحلام * ﴿الباب الثالث﴾ فى أوصاف الشريعة الاسلاميه * و بعض أحكامها وحكمها المرضيه * مع مقابلتها بنظيرها من عبادات الديانة النصرانية * يظهر الفرق * بين وضع الحق

ووضع الخلق * وتحت كل باب من هذه الابواب الثلاثة عدة فصول * يحصل بها مع اختصارها لمن اطلع عليها من المنصفين المأمول * وها أنا أشرع بالمقصود فأقول *

﴿الباب الاول في أوصاف الله تعالى والكلام على الكتب السماوية﴾

وهو يشتمل على أربعة فصول

﴿الفصل الاول في عقيدة المسلمين في حق الله تعالى﴾ لا يخالف النصارى ولا غيرهم من سائر الملل بأن العقيدة الاسلامية هي أحسن العقائد من جهة اشتمالها على الكمالات الالهية التي لا توجد في عقيدة سواها حتى انهم يأخذون الثناء على الله تعالى من كتب المسلمين ويضعونه في كتبهم الدينية ومن أحسن العقائد المختصرة عقيدة الامام الغزالي المسماة قواعد العقائد وهي في أول كتاب الاحياء وقد ذكرتها في كثير من كتبي وكذلك العقيدة المرشدة وقد أثنى عليها الامام ابن السبكي في كتابه معيد النعم وكذلك أثنى على عقيدة الامام الطحاوي الحنفي وها أنا أقتصر منها هنا على ما يحصل به المقصود لان كتابي هذا مبني على الاختصار * قال الامام أبو جعفر الطحاوي رضي الله عنه نقول في توحيد الله تعالى معتقدين بتوفيق الله ان الله تعالى واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا اله غيره قديم بلا ابتداء * دائم بلا انتهاء * لا يفنى ولا يبيد * ولا يكون الا ما يريد * لا تبلغه الاوهام * ولا تدركه الافهام * ولا تشبهه الانام * حي لا يموت قيوم لا ينام * خالق بلا حاجة * رازق بلا مؤنة * مميت بلا مخافة * باعث بلا مشقة * ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيأ لم يكن قبلهم من صفاته * وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا * ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق * ولا باحداثه البرية استفاد اسم البارئ * له معنى الربوبية ولا مربوب * ومعنى الخالق ولا مخلوق * وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم ذلك بأنه على كل شيء قدير * وكل شيء اليه فقير * وكل أمر عليه يسير * لا يحتاج الى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * خلق الخلق بعلمه وقدر لهم اقدارا وضرب لهم آجالا لم يخف عليه شيء قبل ان خلقهم وعلم ما هم عاملون

قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته * وكل شيء يجرى بقدرته ومشيئته * لامشيئة للعباد الا ماشاء لهم فما شاء لهم كان ومالم يشألم يكن * يهدى من يشاء ويعصم ويعافى فضلا * ويضل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلا * وكلهم يتقلبون فى مشيئته وعدله * لاراد لقضائه * ولا معقب لحكمه * ولا غالب لامره * آمنا بذلك كله * وأيقنا ان كلا من عنده وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده المصطفى * ونبيه المجتبى * ورسوله المرتضى * خاتم الانبيا * وامام الاتقيا * المبعوث بالحق والهدى * صلى الله عليه وسلم

﴿الفصل الثانى فى عقيدة النصارى فى حق الله تعالى﴾ وأما عقيدة النصارى فى الله عز وجل فهى اعتقادهم انه سبحانه وتقدس وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ثالث ثلاثة وان كل واحد من الثلاثة إله مستقل وان الثلاثة إله واحد وهم الاب والابن وروح القدس وانها اجتمعت فى عيسى عليه السلام وانه مع ذلك قهره أعداؤه اليهود وأهانوه غاية الاهانة وصلبوه بزعمهم وحصل له خوف عظيم وجزع شديد فاستغاث بالله ودعاه ليخلصه منهم فلم يخلصه ومع هذا يعتقدون ألوهيته ولم يكتفوا بذلك حتى عاملوا صورة الخشبة التى صلب عليها معاملة الاله من العبادة والتعظيم والحلف بها وهى صليبهم المعروف ويتبركون به فى جميع أمورهم لجلب خير الدنيا والآخرة ودفع شرهما واتخذوه صنمهم الاعظم وجعلوا يوم صلبه عليه السلام بزعمهم عيدهم الاكبر رغما عن مقتضى العقل والفهم فان العقل يقتضى العكس لان الخشبة التى صلب عليها يلزم أن تكون أشأم الخشب وأبغضه الى الله تعالى لانها كانت آلة القتل لافضل خلقه فى ذلك العصر وأحبهم اليه وأعزهم عليه فكيف تعظم هى وصورتها كل هذا التعظيم كما انه يلزم أن يكون يوم الصلب أنحس الايام عليهم فكيف يكون عيدهم السعيد هذا مما لا يقبله ذو عقل رشيد وكل ماذكروه لذلك من الحكم هو مخالف العقل والحكمة * والحاصل ان مسألة الصلب صارت فتنة جسيمة لهذه الامة العظيمة فلعنة الله على اليهود الذين هم أساس هذا البلاء * واعتقادنا نحن الموافق للحقيقة التى أخبرنا الله بها فى كتابه

العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ان الله تعالى قد رفع سيدنا عيسى من بينهم لما أرادوا صلبه وألقى شبهه على الرجل الذى دلهم عليه فصلبوه وليس ذلك بمستحيل فالله قادر على كل شئ وقلب عصا موسى حية اعظم من هذه وقد حصل ذلك باتفاق المسلمين والنصارى واليهود اذ العصا لا تشبه الحية فى الحيوانية وأما الرجل فهو مثل عيسى انسان غاية الامر ان الله تعالى جعله يشبهه حتى اعتقدوا انه هو فصلبوه ورفع سيدنا عيسى الى السماء عليه الصلاة والسلام * ومن عجائب عقيدتهم مسألة القربان وهى أن الخورى متى قرأ على الخبز والخمر يصيران باعتقاد النصارى نفس جسد المسيح ونفس دمه بدون تشبيه ولا تأويل وان كل واحد منهم يلزمه أن يعتقد هذا الاعتقاد بقلبه ويكذب حواسه التى تشاهدهما وتذوقهما وتمسهما خبزا وخمرا واذا لم يكذب حواسه على هذا الوجه ولم يعتقد انهما نفس جسد المسيح ودمه الحقيقيين فهو كافر فى مذهبهم يستحق النار كسائر الكافرين وأنت أيها العاقل تعلم انك اذا كان أمامك حجر مثلا وأخبرك الناس كافة بأن ذلك الحجر انسان لا يمكن أن تصدقهم وتكذب بصرك نعم اذا كان هناك حاكم مجبر يوجب عليك القول بذلك ويجازى من لم يقل انه انسان بالقتل فانك تنطق بلسانك بأنه انسان وقلبك معتقد وجازم بأنه حجر اذا علمت ذلك تعلم يقينا ان جميع النصارى المكلفين باعتقاد ان ذلك الخبز والخمر جسد عيسى ودمه عليه السلام انما يقولون ذلك بلسانهم وأما قلوبهم فهى غير معتقدة لذلك بل هى جازمة بأنه خبز وخمر حقيقة كما هو الواقع المشاهد وفى مذهبهم اذا لم يعتقد ذلك ويكذب حواسه فهو كافر فحينئذ يكونون كفارا بحسب عقيدتهم وتكليفهم بهذا التكليف والاعتقاد الذى لا يمكن أن يعتقده عاقل واذا نظرنا الى كون ذلك الجسد هو جسد إلههم أكلوه وذلك الدم هو دم إلههم شربوه مع كثرتهم على توالى الاعصار تزيد المسألة غرابة اضعافا مضاعفة ولذلك ترك هذه العقيدة البروتستانت فيما تركوه من أحكام دينهم التى اتفقت عليها جميع طوائفهم ولكنهم شاركوهم فى اعتقاد ألوهية عيسى عليه السلام وجعلوا الله تعالى شريكا ولم

ينزه هو عن الحلول فى جسد انسان قد وقع الصلب عليه والهوان * ولما كانت هذه العقائد فى حق الله تعالى مخالفة للعقول وضعوا قاعدة للجواب عن ذلك وهى قولهم « الدين فوق العقل » وهذه القاعدة لو كان المراد منها ما فهموه لما جاز لنا ولا لهم أن نعترض على دين من الاديان الباطلة بالاتفاق ويمكن أن يقال بصحة هذه العبارة لكن ليس بالمعنى الذى فهموه منها وفسروها به بل بمعنى ان العقل لا يدرك حقيقة الله تعالى على ما هو عليه عز وجل اذ لا يعلم حقيقته غيره سبحانه وتعالى فهذا معنى هذه العبارة والنصارى لم يعتقدوا فيه تعالى ما هو فوق العقل وانما اعتقدوا فيه عز وجل ما هو ضد العقل من امتزاجه بالانسان الحادث وكونه ثالث ثلاثة وكون الثلاثة واحدا وكون كل واحد منها إلها مستقلا مع ما وقع عليه من الاهانة والصلب بزعمهم وغير ذلك من أوصاف العجز والاحتياج التى يستحيل فى العقل أن تكون أوصافا لله عز وجل فهذا الاعتقاد ضد العقل وليس هو فوق العقل لان الذى فوق العقل هو الذى لا يدركه العقل وذلك حقيقة الله تعالى وأما هذه الامور فقد أدركها العقل وأدرك انها لا تليق بالله تعالى ويستحيل اتصافه بها فمن اتصف بها ليس باله قطعا * اذا علمت ذلك وفهمته ترفض كل ما أتوا به فى هذا الباب من الجوابات التى يأباها ذووا الالباب كقولهم ان الله تعالى تجسد فى عيسى وألقى نفسه باختياره فى العذاب الاليم من الصلب والاهانة الى آخره ليخلص الناس من نار الجحيم التى يعذبون فيها بذنب غيرهم وهو أبوهم آدم عليه السلام واذا كان الامر كذلك كما يزعمون فهو ليس باله لان الاله لا يمنعه شىء مما يريد وهو الحاكم على جميع خلقه فهو يرحم من يرحمه منهم ويعذب من يعذبه منهم ولا يقدر أحد أن يعارضه فى شىء من ذلك واذا أمكنت المعارضة زالت الالوهية بالكلية * والحاصل ان اعتقادات النصارى فى حق الله تعالى لا يشبهها اعتقادات أحد من جميع أصحاب الديانات على وجه الارض ولولا انها حاصلة بالفعل ومتدين بها كثير من الناس لما كاد العقل يصدق بأن انسانا له أدنى فهم يعتقد فى ربه هذه الاعتقادات

وهذا هو السبب الذى جعل كثيرا من عقلاء أوروباو علمائها زنادقة طبيعيين

لا يتدينون بدين من الاديان لما رأوه من مصادمة العقل للديانة النصرانية التى نشؤا عليها وكثير منهم ألف فى الرد عليها والطعن فيها وبيان عيوبها ومناقضاتها التآليف الكثيرة وهم لم يعلموا حقيقة دين الاسلام ولو علموه لاتبعوه ولكنهم قاسوا على دينهم سائر الاديان فخرجوا من التدين بالكلية وتمسك من تمسك منهم بديانته لحفظ التقاليد القديمة التى نشأ عليها وورثها عن الآباء والاجداد وانما قبلوها وقت دخلوها الى بلادهم فى العصور الاولى حينما كانت أوروبا بأسرها فى غاية الجهل والتوحش فلما انشؤا عليها وتوارثوها جيلا بعد جيل لم يسعهم الا المحافظة عليها ولو دخلت النصرانية الى بلادهم الآن لما قبلها واحد منهم قطعا

﴿الفصل الثالث فى مناظرة وقعت للفخر الرازى مع أحد علماء النصارى﴾

قال الفخر الرازى فى تفسير سورة آل عمران من تفسيره الكبير عند قوله تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» اعلم ان الله تعالى بين فى أول هذه السورة وجوها من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بالزوجة والولد واتبعها بذكر الجواب عن جميع شبههم على سبيل الاستقصاء التام وختم الكلام بهذه النكتة القاطعة لفساد كلامهم وهو انه لما لم يلزم من عدم الاب البشرى لعيسى عليه السلام أن يكون ابنا لله تعالى الله عن ذلك ولما لم يبعد انخلاق آدم عليه السلام من التراب لم يبعد أيضا انخلاق عيسى عليه السلام من الدم الذى كان يجتمع فى رحم أم عيسى عليه السلام ومن أنصف وطلب الحق علم ان البيان قد بلغ الى الغاية القصوى فعند ذلك قال تعالى فمن حاجك بعد هذه الدلائل الواضحة والجوابات اللائحة فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو أن تدعوهم الى الملاعنة فقال فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ✲ قال رضى الله عنه بعدما ذكروا اتفق انى حينما كنت بخوارزم أخبرت انه جاء نصرانى يدعى التحقيق والتعمق فى مذهبهم فذهبت اليه

وشرعنا فى الحديث فقال لى ما الدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقلت له كما
نقل الينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام
نقل الينا ظهور الخوارق على يد محمد صلى الله عليه وسلم فان رددنا التواتر أو قبلناه
لكن قلنا ان المعجزة لا تدل على الصدق فحينئذ بطلت نبوة سائر الانبياء عليهم
السلام وان اعترفنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق ثم انهما
حاصلان فى حق محمد وجب الاعتراف قطعا بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام
ضرورة اذ عند الاستواء فى الدليل لابد من الاستواء فى حصول المدلول فقال
النصرانى أنا لا أقول فى عيسى عليه السلام انه كان نبيا بل أقول انه كان الها فقلت
له الكلام فى النبوة لابد وأن يكون مسبوقا بمعرفة الاله وهذا الذى تقوله باطل
ويدل عليه ان الاله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته يجب أن لا يكون
جسما ولا متحيزا ولا عرضا وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى
وجد بعد ان كان معدوما وقتل بعد ان كان حيا على قولكم وكان طفلا ثم صار
مترعرعا ثم صار شابا وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ وقد تقرر في
بداهة العقول ان المحدث لا يكون قديما والمحتاج لا يكون غنيا والممكن لا يكون
واجبا والمتغير لا يكون دائما ☆ والوجه الثانى فى ابطال هذه المقالة انكم تعترفون
بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حيا على الخشبة وقد مزقوا اضلاعه وانه كان
يحتال فى الهرب منهم وفى الاختفاء عنهم وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر
الجزع الشديد فان كان إلها أو كان الاله حالا فيه أو كان جزء من الاله حالا فيه فلم لم
يدفعهم عن نفسه ولم لم يهلكهم بالكلية وأى حاجة به الى اظهار الجزع منهم
والاحتيال فى الفرار منهم وبالله اننى لاتعجب جدا ان العاقل كيف يليق به أن يقول
هذا القول ويعتقد صحته فتكاد أن تكون بديهة العقل شاهدة بفساده ☆ والوجه
الثالث وهو انه اما أن يقال بأن الاله هو هذا الشخص الجسمانى المشاهد أو يقال
حل الاله بكليته فيه أو حل بعض الاله وجزء منه فيه والاقسام الثلاثة باطلة
اما الاول فلان اله العالم لو كان هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولا بأن

اليهود قتلوا اله العالم فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير اله ثم ان أشد الناس ذلا ودناءة اليهود فالاله الذى تقتله اليهود إله فى غاية العجز وأما الثانى وهو ان الاله بكليته حل فى هذا الجسم فهو أيضا فاسد لان الاله ان لم يكن جسما ولا عرضا امتنع حلوله فى الجسم وان كان جسما فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب وقوع التفرق فى أجزاء ذلك الاله وان كان عرضا كان محتاجا الى المحل وكان الاله محتاجا الى غيره وكل ذلك سخف اما الثالث وهو انه حل فيه بعض من ابعاض الاله وجزء من أجزائه فذلك أيضا محال لان ذلك الجزء ان كان معتبرا فى الالهية فعند انفصاله عن الاله وجب أن لا يبقى الاله الها وان لم يكن معتبرا في تحقق الالهية لم يكن جزأ من الاله فثبت فساد هذه الاقسام فكان قول النصارى باطلا ☆ الوجه الرابع فى بطلان قول النصارى ماثبت بالتواتر ان عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى ولو كان الها لاستحال ذلك لان الاله لا يعبد نفسه فهذه وجوه فى غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم ☆ ثم قلت للنصرانى وما الذى دلك على كونه الها فقال الذى دل عليه ظهور العجائب عليه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وذلك لا يمكن حصوله الا بقدرة الاله تعالى فقلت له هل تسلم انه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا فان لم تسلم لزمك من نفى العالم فى الازل نفى الصانع وان سلمت انه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول فأقول لما جوزت حلول الاله فى بدن عيسى عليه السلام فكيف عرفت ان الاله ما حل فى بدنى وبدنك وفى بدن كل حيوان ونبات وجماد فقال الفرق ظاهر وذلك لانى انما حكمت بذلك الحلول لانه ظهرت تلك الافعال العجيبة عليه والافعال العجيبة ما ظهرت على يدى ولا على يدك فعلمنا ان ذلك الحلول مفقود ههنا فقلت له تبين الآن انك ماعرفت معنى قولى انه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول وذلك لان ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الاله فى بدن عيسى فعدم ظهور تلك الخوارق منى ومنك ليس فيه دلالة انه لم يوجد ذلك الدليل فاذا ثبت انه لا يلزم من عدم الدليل عدم

المدلول لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حق وفي حقك بل وفي حق الكلب والسنور والفأر ثم قلت ان مذهبا يؤدي القول به الى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة ✡ الوجه الخامس ان قلب العصا حية أبعد في العقل من اعادة الميت حيا لان المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان فاذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى الها ولا ابنا للاله فبأن لا يدل احياء الموتى على الالهية كان ذلك أولى وعند هذا انقطع النصراني ولم يبق له كلام والله أعلم

﴿الفصل الرابع في الكلام على القرآن والفرق بينه وبين التوراة والانجيل﴾

الفرق بينه وبينهما في غاية الظهور عند الموافقين والمخالفين بحيث لا يجهل أحد من النصارى واليهود الذين عندهم أدنى فهم وانصاف ان القرآن هو من جهة الفصاحة والبلاغة والالفاظ والمعاني والصدق فيما اشتمل عليه والآداب والحكم والاوصاف الجميلة في حق الله تعالى وأنبيائه وكل ما يقع به التفاضل في الالفاظ والمعاني هو يفوق عليهما باضعاف مضاعفة ولا ينكر هذا الا جاهل متعصب لئيم ✡ أو فاقد الذوق السليم ✡ وتفصيل ما للقرآن من الفضائل والمزايا ✡ وما فيهما الآن بعد تحريفهما من الدواهي والبلايا ✡ في حق الله تعالى وحق أنبيائه عليهم السلام مذكور في الكتب المطولة فلا حاجة الى الاطالة بذكره هنا ولكني أذكر بالاختصار شيأ من ذلك فأقول « اما القرآن » فهو أعظم معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد تحداهم أي طلب معارضتهم له والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بشيء منه قال العلماء ان عجزهم عن مثله أوضح في الدلالة على الرسالة من العجز عن احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه صلى الله عليه وسلم أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان المقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص والعرب ولا سيما قريش كانت تتعاطى الفصاحة والبلاغة وانشاء الفصيح والبليغ من

الكلام ارتجالا فى المحافل وقد جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة لا يرتاب أحد بأن
الفصاحة طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم فراعهم الارسول كريم بكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت
آياته ✡ وفصلت كلماته ✡ وبهرت بلاغته العقول ✡ وظهرت فصاحته على
كل مقول ✡ جاءهم وهم أفصح الناس وابلغهم ومازال يقرعهم ويوبخهم ويأتى
بما يخالف دينهم وطباعهم وما نشؤا عليه من الشرك والجهل واستمر على ذلك
ثلاثا وعشرين سنة وهو يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه
أحلامهم ويذم آلهتهم وآباءهم وهم عاجزون عن معارضته والاتيان بمثل أقصر
سورة منه وهو يقول لهم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فلم يأت أحد منهم بشئ
من ذلك وماذلك الا لان الله تعالى جعله علما على رسالته وصحة نبوته صلى الله عليه
وسلم فهو حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق دون غيره من المعجزات ومنه
تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية والاخبار الغيبية مما مضى ومما هو آت
ومعجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها
ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة وقد قطع صلى الله عليه وسلم بأنهم لا يقدرون
على معارضته حيث طلبها منهم بقوله تعالى « فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار »
قال أبو سليمان الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم من أعقل الرجال عند أهل زمانه
بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه تعالى بأنهم
لا يأتون بمثله فقال وان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بأن ذلك من عند الله علام
الغيوب وانه لا يقع فيما أخبر عنه خلف والا لم يأذن له عقله أن يقطع القول فى شئ
بأنه لا يكون وهو يكون ✡ وقال الامام الغزالى فى الاحياء ولا يتمارى فى تواتر
القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبى معجزة باقية سواه اذ
تحدى بها صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ
مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادى بين

أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» وقال ذلك تعجيز لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريبا من خمسمائة فلم يقدر أحد على معارضته يعني في عصره رضي الله عنه ☆ قال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية قال بعض العلماء ان هـذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى وان البشر لا قدرة لهم على تأليف مثل ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال انه كلام الله وطلب معارضته أفصح الناس له باتيانهم بسورة من مثله فعجزوا كلهم واستمر العجز عصرا بعد عصر فكيف يبقى مع هذا شك في أنه كلام الله تعالى ☆ وقال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى أجمع العقلاء على ان كتاب الله تعالى معجزة لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم وطلب المعارضة منهم ثم قال قال الجاحظ بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة فدعا أقصاها وأدناها الى المعارضة ثم نصب لهم الحرب فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجادة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وخطبائهم لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وأفسد لامره وأسرع في تفريق اتباعه صلى الله عليه وسلم من بذل النفوس والخروج من الاوطان وانفاق الاموال ☆ وهو معجز من وجوه كثيرة استوفيت الكلام عليها في كتابي حجة الله على العالمين فليراجعه من شاءه (وأما التوراة) فهو كتاب لا يوثق به الآن فقد ثبت تبديلها وتحريفها بشهادة علماء النصارى واليهود فضلا عن المسلمين وذكروا من أسباب ذلك تداول الاعصار الكثيرة والاهوال

العظيمة والحروب الهائلة التي انتقم الله بها من اليهود وسلط عليهم من شاء من
خلقه كبختنصر حتى قهروهم وأذلوهم وسلبوهم ملكهم وقتلوا من قتلوه منهم
ونزعوا من يدهم بيت المقدس وأسروهم وساقوهم الى البلاد البعيدة معهم
أسارى انتقاما من الله منهم بسبب ما كانوا يفعلونه من قتل الانبياء وظلمهم
وجورهم حتى عم القتل في بعض الحروب جميع من كان يحفظ التوراة ولم يبق
عندهم منها ولا نسخة واحدة ثم زعموا ان رجلا أملاها عليهم من حفظه ولم يزل
التبديل والتحريف يقع بعد ذلك أيضا في نسخها حتى صار يخالف بعضها بعضا
ولهذا الحال السيء الذي طرأ على التوراة وحاملها صرنا نعتقد معاشر المسلمين
اعتقادا جازما بأن ما هو موجود فيها الآن من الطعن في نزاهة أنبياء الله تعالى
ونسبة بعضهم الى عبادة الاوثان وبعضهم الى الزنا وغير ذلك من الآثام هو بلا شك
ليس من كلام الله تعالى ولا من كلام موسى عليه السلام انما هو مدسوس من أهل
الزندقة والالحاد من اليهود وغيرهم في تلك العصور التي انقطع فيها حفاظ التوراة
وتوالت على اليهود المصائب والنكبات وتركوا دينهم وصاروا يعبدون الاصنام
والحاصل ان تحريفها وتبديلها محقق لا شك فيه فلا يوثق بها ولا يعتمد عليها (وأما
الاناجيل) فهي تواريخ حياة سيدنا عيسى عليه السلام ألفها بعد موته أربعة متى
ويوحنا ولوقا ومارقوس فذكروا فيها حكايات ونقلوا عنه شيأ قليلا من العلم النافع
والحكم والمواعظ وقد يخالف بعضهم بعضا ويروي بعضهم ما لم يروه الآخر ومن
تتبعها كلها بتدقيق يظهر له جليا ان ما يمكن أن ينسب الى الله تعالى منها هو النذر
القليل ولهذا لا ننظر الى هذه الاناجيل بنظر انجيل سيدنا عيسى الذي أنزله الله
عليه في حياته وانما هي تواريخ ذكروا فيها بعض ما سمع منه أو نقلوه عمن سمعه
منه عليه السلام ولكونهم لم يكتبوا ذلك ويدونوه في حياته حين السماع حصل لهم
سهو ونسيان في بعض ذلك فوقع الخلاف بينهم باثبات بعضهم ما نفاه الآخر
أو بذكر بعضهم قصة على خلاف الوجه الذي ذكرها عليه الآخر واثنان منهم
وهما مارقس ولوقا ليسا من الحواريين ولم يريا المسيح عليه السلام وكل ما ذكراه

فهو بالسماع عن غيرهما ومتى ويوحنا وان كانا من الحواريين فهما لم يؤلفا من انجيلهما شيأ فى حياته بل كل واحد منهما استقل بنفسه بعد رفعه عليه السلام بسنين كثيرة فصار يكتب ما علق بذهنه والانسان محل النسيان كما لا يخفى وقد رووا كلهم كثيرا من عباداتهم عن غير المسيح عليه السلام بدون تحقيق ولذلك لم تكن أناجيلهم هذه الاربعة محل الثقة والاعتبار عند جميع المحققين من المؤرخين حتى النصارى وانما لم يدونوها فى حياته عليه السلام لانهم لم يصف لهم الوقت ولا له بل كانوا أذلاء مقهورين مشردين بين أعداء أقوياء غير منصفين فلم يكن لهم وقت يتفرغون فيه الى كتابة كل ما سمعوه من السيد المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام بخلاف القرآن فانه نزل عليه صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة متفرقا فضبطوه أحسن الضبط مع كثرتهم وقوتهم ثم على أثر وفاته صلى الله عليه وسلم جمعوه أحسن جمع يستحيل معه أدنى تبديل وتغيير وقد تعهد الله تعالى بحفظه بقوله « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولم يتعهد تعالى بحفظ غيره من الكتب وقد أشبعت الكلام على وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل فى خاتمة كتابى نجوم المهتدين ونقلت فيه نقولا كثيرة عن علماء المسلمين والنصارى يحصل لمن اطلع عليها أو على بعضها اليقين الذى ما بعده يقين بوقوع التحريف والتبديل فيهما وختمت ذلك بكلام منى أسوقه هنا لما فيه من تجلى الحقيقة لكل منصف وهو هذا ﴿زيادة ايضاح لمسألة وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل بوجوه عقلية لا يأباها الا كل مكابر جاهل مصر على الباطل﴾ اعلم ان كل كتاب ولا سيما اذا كان من الكتب القديمة التى طال الزمان بيننا وبين مؤلفها اذا لم يؤخذ عن صاحبه الاول عبارة عبارة وكلمة كلمة بالضبط والاتقان وهكذا من بعده الى الآن فلا بد من وقوع التحريف فيه ولو بدون قصد كما نشاهد ذلك فى كثير من الكتب المتداولة بين الناس والسبب انه لا يخلو فى هذه الادوار قطعا ان من نسخوه يوجد فيهم الجاهل وغير الامين الذى اذا مر على عبارة ولم يفهمها يغيرها بعبارة أخرى بسبب جهله أو عدم أمانته

أو يختصر بعض العبارات بالحذف لظنه عدم لزومها لئلا يضيع الوقت بكتابتها ويستحق الاجرة ممن استأجروه لكتابة ذلك الكتاب جملة واحدة فى وقت قريب هذا فضلا عما يقع لبعض رؤساء دين اليهود والنصارى من الاغراض التى تحملهم على تحريف بعض العبارات عن قصد ثم يتداولونها فتشيع بين الناس كانها صحيحة وربما دخل فيهم من ليس منهم فصار يستعمل ذلك عن قصد كما قاله العلماء العارفون والمؤرخون الصادقون فى حق بولص انه كان يهوديا وتنصر وادعى الدعاوى الطويلة العريضة التى غير بها كثيرا من أحكام دين النصرانية ووضع أحكاما من عند نفسه واتبعوه عليها وكان قبل أن يتنصر أعدى أعداء النصارى وفرض عدم وقوع التحريف على الوجه المذكور أو غيره فى هذه المدد الطويلة فرض بعيد لاسيما وقد ثبت ذلك بالادلة الكثيرة المتقدمة وغيرها مما ذكره الامام ابن حزم والشيخ رحمة الله وغيرهما من علماء المسلمين والنصارى وغيرهم فلا مجال حينئذ للانكار اذ من المحال عادة عدم وقوع التحريف فى تلك الكتب مع قدم العهد واختلاف الاحوال وكثرة الاهوال وتوالى الجهالات وأنواع الضلالات وكيف يمكن سلامة تلك الكتب مع هذه الحالات السيآت وقد وقع بعض التحريف فى بعض كتب الحديث عندنا معاشر المسلمين مع قرب العهد وعدم وجود تلك الاسباب القوية المقتضية لتحريف كتبهم ولولا شدة اعتناء أئمة الدين وحفاظ المسلمين فى ضبط حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتبه الصحيح بالسقيم ولكنهم لم يتركوا فى تلك الموضوعات التى وضعها الجهال أو الضلال لمقاصد فاسدة شيأ الا وقد بينوه وأوضحوه وافردوا لها الكتب التى بينوا فيها أحوالهم وأحوالها وأحوال رواتها فبهذا السبب لم يحصل فى دين الاسلام دخيل من الاكاذيب والاباطيل وأما كتب النصارى واليهود كالتوراة والانجيل فلم يحصل لها هذا الاعتناء من علماء أممهم بل لم تكن علماؤهم فى الدرجة الكافية وانما كانوا قليلين لا كعلماء المسلمين فى الكثرة والاتقان والتبحر فى العلوم ومع ذلك فقد مرت عليها عصور كثيرة فى الجهالات المظلمات والمصائب والمحاربات

قطعت الاتصال فى رواياتها وممايدل على ذلك انها مع كونها ليست متواترة قطعا بل ولا مروية بدون تواتر بالاتصال رجل عن رجل الى المؤلف الاول لا يوجد فيها ترديد ذكر عدة روايات فى العبارة كأن يذكر عبارة منها ثم يقول وروى كذا وكذا بغير تلك العبارة وهذا لا بد من وقوعه اذا تعددت الروايات لان بعض الرواة لا بد أن يخالف بعضهم ببعض الكلمات كما انه لا يوجد فيها الشك من الراوى فى بعض الالفاظ كأن يقول هو كذا أو كذا وهذا لا بد من وقوعه فى بعض الالفاظ من الرواة الصادقين الامناء الذين لا يثبتون كلمة ولا حرفا الا عن يقين واذا حصل لهم شك فى كلمة أو حرف يبينونه كما هو الجارى عند علمائنا علماء الحديث ومع كل هذا فلا يستحى بعض علماء النصارى من دعواهم ان كتب التوراة والانجيل مروية بالتواتر مع انها غير مروية بالآحاد وليس لها أسانيد متصلة بالكلية وكيف يقال ذلك فيها وهذه كتبنا معاشر المسلمين حتى البخارى ومسلم اللذان هما بعد القرآن أصح الكتب على الاطلاق لا يوجد منها كتاب واحد متواتر الرواية من أوله الى آخره مع شدة الاعتناء بها الى درجة لم تبلغها كتب أمة من الامم والكتاب المتواتر عندنا جميعه هو القرآن فقط فهو الذى روته الامة عن الامة بالتواتر فان الرجل يأخذه عن الرجل لفظا لفظا الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير انقطاع ونجد فى كل عصر من هذا مئات ألوف فمن هنا لا يمكن وقوع النقص فيه أو الزيادة أو التحريف والتصحيف أما كتب الحديث فيوجد منها بعض أحاديث متواترة من النبى صلى الله عليه وسلم الى زمان مؤلفيها ثم من مؤلفيها الى من بعدهم وليس كلها متواترا اذا علمت ذلك تعلم ان دعوى اتصال كتب التوراة والانجيل بأصحابها بالسند المتواتر من هذا الزمان الى أول من نسبت اليهم هى دعوى كاذبة ظاهرة البطلان والحامل عليها المكابرة والجهل بمعنى التواتر ومعناه أن يرويه جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب وبعضهم قدرهم بمائة وأكثر واقل عن جماعة مثلهم وهكذا فى كل طبقة الى الاول وهذا المعنى لا يوجد فى كتاب فى الدنيا على الاطلاق غير القرآن لا من كتب المسلمين ولا من كتب

خلافهم وذلك من الامور التي لايدعيها الا الجهال ولايشك فيها عارف بحال من الاحوال ومما يدل على ان الانجيل الحقيقي الذي أنزله الله على سيدنا عيسى لم يذكر جميعه في هذه الاناجيل المتداولة بينهم فضلا عن كونها ليس لها سند متصل بمؤلفيها ان أصحابه عليه السلام مع ما كانوا عليه من القلة والذلة بين أعدائهم لم يجتمعوا على أثر رفعه الى السماء جميعهم اجتماعا واحدا ويتفقوا على جمع الانجيل بحيث يذكر كل واحد ما عنده من محفوظاته التي رواها بنفسه من فم سيدنا عيسى عليه السلام كما فعل أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن وانما أهملوا ذلك سنين كثيرة بسبب ما كانوا فيه من الاضطهاد والذل والمصائب المتتابعة عليهم من أعدائهم ثم بعد ذلك خطر لاربعة أن يجمعوا ذلك ويا ليتهم اذ خطر لهم ذلك قد اجتمعوا وتذاكروا واثبتوا ما اتفقوا عليه واستعلموا من غيرهم عما لم يبلغهم من أحواله وأخباره وما روى عنه من آيات الانجيل عليه السلام ولكنهم لم يوفقوا الفعل ذلك بل استبد كل واحد منهم فألف انجيلا خالف بعضهم بعضا ولم يستوفوا جميع ما روى عن سيدنا عيسى من الآيات الانجيلية والاخبار التاريخية ثم جاء غيرهم فجمعوا أناجيل أخرى فخالفوهم في بعض ما ذكروه وخالف أيضا بعضهم بعضا فضاع بذلك كتاب الله تعالى الذي أنزله على سيدنا عيسى عليه السلام بين هذه الاناجيل وغيرها فكل واحد من أصحابها أخذ نتفا منه وفرقها في غضون كلامه بحسب ما سمع وما بلغه من علم ذلك ولا شك انه بهذا العمل قد ضاع منه آيات كثيرة لم تذكر في واحد من هذه الاناجيل لانه قد ثبت وتحقق ان كل واحد منهم خالف سائرهم بزيادة شيء من ذلك على ما ذكروه ونقص شيء مما ذكروه ولا شيء يدل على ان تلك الزيادة منحصرة بما زاده هو عليهم بل يحتمل أن تكون هناك زيادة لم يعثر عليها ولم تبلغه سوى الزيادات التي زادها وهذا احتمال قريب بدليل ان كل واحد منهم له زيادات على الآخرين اما أن يكونوا أنسوها أو لم تبلغهم أصلا فلم يذكروها لاسيما وبعضهم تأخر زمانه عن سيدنا عيسى ومن اجتمع معه منهم لم يكونوا يتمكنون من كثرة

الاجتماع معه عليه السلام لتغلب أعدائه فلا يمكن أن يكون أحدهم جمع جميع
ماأنزله الله عليه من الانجيل وانما روى كل واحد منهم ماتيسر له وفرقه في أثناء
كلامه الذي جاء بعباراته من عند نفسه مخبرا عما شاهده من وقائعه وأخباره عليه
السلام فمن نظر الى هذا المعنى بتدقيق وانصاف لايشك بأن هذه الاناجيل لم تشتمل
على جميع الانجيل الحقيقي المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام وانظر الى ماحصل
لهم من الخذلان حتى لم يجتمعوا على جمعه وحالت بينهم وبين ذلك أسباب كثيرة ولم
يحصل لهم ماحصل لاصحاب رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوفيق
حتى اجتمعوا واعتنوا غاية الاعتناء في جمع القرآن مع كثرتهم وكثرة اجتماعاتهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم وعدم الموانع لهم وكثرة التسهيلات من الحق سبحانه وتعالى
لجمع القرآن حتى جمعوه في غاية الضبط والاتقان ورووه عنهم كذلك علماء الامة
وفضلاؤها وكبيرها وصغيرها الى الآن اذا علمت ذلك تعلم ان الله تعالى لما تعهد
بحفظ القرآن بقوله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » سهل لهم سبيل
ذلك ولما لم يتعهد بحفظ غيره من الكتب السماوية لم يسهل لهم سبيل حفظها
فوقع فيها ماوقع من التحريف والتصحيف والنقص والازدياد ولله في ذلك حكم
فهو يفعل مايشاء ويحكم بما أراد ومثل ذلك حمايته تعالى بعض الانبياء وعدم
حمايته بعضهم ولعل الحكمة في حمايته القرآن انه آخر الكتب السماوية فليس
بعده كتاب يصحح غلطه لو وقع بخلاف التوراة والانجيل ومن أقوى الادلة على
تبديل التوراة الموجودة الآن مااشتملت عليه ونسبته الى الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من الزنا مطلقا فضلا عن الزنا بالبنات والمحارم فضلا عن السجود للاصنام
فان ذلك كذب مختلق مفترى لا أصل له ولا أشك انه مما أدخله الزنادقة والملاحدة
والكفرة في التوراة وغيرها من الكتب المنسوبة الى الانبياء لبغضهم الاديان
والانبياء بغضا شديدا حملهم على هذه الدسائس الفاحشة والافتراآت الشنيعة في
حقهم عليهم السلام لتنفير الناس منهم ومن أديانهم وهؤلاء الزنادقة يجوز أن يكونوا
من اليهود الذين خرجوا عن الملة اليهودية في الزمن الاول أو من غيرهم وهذا ليس

ببعيد ونحن فى هذا العصر نرى كثيرا من المسلمين والنصارى ولا سيما بعد دخولهم المدارس الافرنجية يخرجون من أديانهم ويصيرون زنادقة أبغض شىء اليهم الدين وأهله واذا ذكروا أنبياء الله تعالى ورسله الكرام يصفونهم بما لا ينبغى وكثير من الكفرة الطبيعيين المتشعبين من النصارى الافرنج فى هذا العصر ألفوا كتبا كثيرة ضد الاديان وطعنوا فيها بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بما قدروا عليه مما قادهم اليه الشيطان وحسنته لهم عقولهم السخيفة فلا شك ان أمثال هؤلاء يوجد منهم فى كل عصر ولكنهم فى هذا العصر أشد وقاحة منهم فى الاعصر الاولى لكثرتهم وقوة شوكتهم فلا يبالون من الاديان وأهلها ولذلك أظهروا كفرهم على رؤس الاشهاد بخلافهم فى الاعصر السابقة فانهم كانوا لا يستطيعون هذه المجاهرة فكانوا يكتمون أمرهم ويدسون تلك الدسائس الفظيعة فى الكتب الدينية ويروجونها على الناس لانهم بحسب الظاهر منهم وعلى دينهم ويجوز أن يكون الذين دسوا تلك الفواحش فى التوراة هم فساق أحبار اليهود ورهبان النصارى ممن يقعون فى الزنا بمقتضى طبيعتهم البشرية لا سيما من لا زوجات لهم يستغنون بهن عن ذلك فحملهم حب الرياسة وبقاء ناموسهم وشرفهم فى أعين الناس على ان دسوا تلك الدسائس فى التوراة ونسبوها الى الانبياء ليكون ذلك عذرا لهم عند من يعترض عليهم فيقال ان أنبياء الله قد وقعوا فى الزنا وهم صفوة البشر ولا يبلغ غيرهم درجاتهم فى الصلاح والديانة فكيف يكون غيرهم من الناس مهما كانوا صالحين وصارت هذه القصص الفاحشة التى افتروا بها على أنبياء الله تعالى حججا لهم ولمن جاء بعدهم من فسقة الاحبار والرهبان يدفعون بها اعتراضات الناس عليهم ويقنعون بها من تمتنع عليهم من حرائر النساء اذا راودوها عن نفسها ويعتذرون للناس اذا ثبت عليهم ذلك وكيفما كان الامر فن المحقق الذى لا يشك فيه عاقل ان جميع تلك الحكايات الفاحشة هى كذب مختلق مدسوس فى التوراة من كفرة الزنادقة فى أول الزمان أو من فسقة الاحبار والرهبان ثم نقل تلك الكتب الخلف عن السلف وبقيت فيها تلك الشنائع

والفظائع في حق الانبياء فصار اليهود والنصارى أحرص الناس على المحافظة عليها لاعتقادهم صحتها لانهم هكذا وجدوها ويدل على ذلك وجوه * منها ان النصارى واليهود الذين يعتقدون صحة وقوع تلك الفظائع من الانبياء حاشاهم ثم حاشاهم لو قلت لاحدهم يازاني يا ابن الزانية مثلا لغضب غاية الغضب وأخذه المقيم المقعد ورفعك الى الحاكم وانتقم منك غاية الانتقام ان أمكنه ذلك ولو كان حقيقة هو زانيا وأمه زانية لان الزنا من أفحش الفواحش وأعظم العيوب وأكبر الفظائع عند كافة الناس على اختلاف مللهم ونحلهم وأجناسهم ومذاهبهم وهذا اذا كان الزنا بالاجنبية فما بالك اذا كان ببنته أو أخته أو زوجة أبيه أو غيرهن من المحارم التى ذكر في التوراة زنا بعض الانبياء بهن فهذا الانشك بأنه كذب عليهم لم يفعلوه أصلا اذ لو فرضنا انهم فعلوه لستره الله عليهم ولم يفضحهم به على رؤس الاشهاد ويذكره فى كتبه السماوية التى تتداولها الامم جيلا بعد جيل ويتعبدون الله بها ويقرؤنها فى معابدهم وهى محل شرائعهم المبينة لهم أحكام الحلال والحرام فأى عقل يجوز ان الله يذكر هذه الفواحش في كتبه المقدسة ويسندها الى أصفيائه وأنبيائه وهو سبحانه ينهى الناس أشد النهى فى تلك الكتب عن ارتكابها ويوعدهم بأشد الجزاء على ارتكابها ويأمرهم باتباع أولئك الانبياء بأفعالهم وأقوالهم لانهم مشرعون فهل يمكن بعد هذا أن يرميهم بفاحشة الزنا ويشهرهم بين خلقه المأمورين باتباعهم حاشا وكلا سبحانك هذا بهتان عظيم لانعتقده ولانرضى به بل الموافق للحكمة والحقيقة مدح الله تعالى اياهم ونشره محاسنهم بين خلقه كرامة لهم وليتبعوهم ويقتدوا بهم كما فعل سبحانه وتعالى فى القرآن فقد ذكر من محاسن الانبياء وأوصافهم الجميلة ماهم أهل له نعم قد ذكر ذنوبهم الخفيفة فى نفس الامر وعظمها لصدورها عن عبيد عارفين في مخالفة سيدهم العظيم سبحانه وتعالى وليبين للناس توبتهم فيقتدوا بهم فيها وينفروا من الذنوب مهما كانت وليس في القرآن ان أحدهم زنى بأجنبية فضلا عن غيرها بل مدحهم الله تعالى مدحا كثيرا ومتى ذكر ماظاهره المعصية عن بعضهم اتبعه بما يمحوها من التوبة

والانابة قال تعالى «وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» ومع ذلك فليس فيما نسب الى بعضهم من المعاصي شيء من المنفرات المستقبحة في عرف الناس مثل الزنا بل ليس في القرآن ذكر الزنا في حقهم ولا في حق غيرهم أيضا الا مبهما لبيان الحكم الشرعي وليس فيه تعيين رجل زنى بامرأة معينة فان هذا من القذف الصريح الذي تجل عنه كتب العلماء فضلا عن كتاب الله تعالى ولا يترتب عليه فائدة مخصوصة اذ يمكن بيان الحكم الشرعي مع الابهام كما فعل القرآن اذ لم يصرح بشيء من ذلك في حق أحد منهم بل ولا من غيرهم على التعيين ومن قرأ فيه قصة يوسف وداود عليهما السلام يتحقق شدة أدب القرآن بكناياته عما يتحاشى من التصريح بذكره كقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام «همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه» وقال في قصة داود عليه السلام «ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة» فكنى عن المرأة بالنعجة ومن العجائب ان بعض الكتاب والمؤلفين من الرهبان والقسيسين وغيرهم من أفاضل النصارى يستحسنون طريقة القرآن من التنزه عن التصريح بما يستقبح ذكره من نحو الزنا ولا يصرحون في كتبهم بشيء من ذلك ويبالغون في الامر حتى انهم يتحاشون من ذكر الجماع ولو بالحلال وقد يختصرون بعض الكتب الادبية والتاريخية فيحذفون تلك العبارات المستهجنة حتى من كتب الاكاذيب والقصص الهذيانية مثل كتاب ألف ليلة وليلة وهم مع ذلك يستحسنون وجود تلك الالفاظ الشنيعة والقصص الفاحشة المصرحة بالزنا في الاجنبيات والمحارم والبنات في كتبهم المقدسة المنسوبة الى الله تعالى مسندة تلك الافعال الشنيعة الى أنبياء الله ورسله وهم سادات الخلق وأصفياء الحق فياليت شعري كيف كان الشيء الواحد وهو التصريح بالزنا في التوراة وهي من أجل كتب الله عندنا منسوبا للنبيين في غاية الصحة والاستحسان وهو نفسه اذا كان في أرذل الكتب منسوبا الى الفسقة والاشقياء في غاية الاستقباح والاستهجان أليس هذا من التناقض الشنيع والتضارب الفظيع الذي يأباه كل لبيب عاقل ولا يرضى اتصافه به الغبي الجاهل

فضلا عن الذكى الفاضل فاذا كان هذا التناقض الظاهر على هذا الوجه الغريب هو حال الخواص منهم والعلماء فكيف يكون حال العوام الجهلاء واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله الفصحاء ولا شك ان الزنا من أشنع الذنوب وأكثرها عارا عند الناس كافة بل عند بعض الوحوش أيضا فقد بلغني ان بعضهم رأى في بلاد اليمن قردة زنت بقرد غير قرينها فلما تحقق ذلك قرينها جمع عليها القردة ولا زالوا يرجمونها بالاحجار حتى قتلوها والمقصود ان شدة شناعة الزنا لا يختلف فيها أحد حتى المومسات المعدات لهذا الامر يعرفن أنفسهن مرتكبات أمرا عظيما أسقطهن من شرف الانسانية وصرن يعتبرن أنفسهن في درجة سافلة جدا لا يرتفعن معها الى مقامات أحرار النساء ولو كن من أسفل الاجناس هذا بحسب ما جبلت عليه فطرة الانسان من أى صنف كان وقد حرمه الله تعالى وجعله من كبائر الذنوب في كافة الاديان وليس هو من الاحكام التى نسخت أو عدلت لان فظاعته هى هى في كل زمان ومكان فلا يقبل النسخ ولا التعديل ومرادى بالتعديل أن يكون اثمه في شريعة أخف منه في شريعة أخرى فان هذا أيضا لم يكن اذ هو من أهم الوصايا العشر المنصوص عليها في التوراة وهى معتقد اليهود والنصارى وجاء القرآن بتأكيد تحريمه وذمه أقبح الذم واقامته أشد الحدود على فاعله قال تعالى « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » فلو قال لا تزنوا لكان كافيا لافادة التحريم ولكنه نهى عن القرب منه وذلك يكون بالعزم والاتيان بالمقدمات هذا فضلا عن المباشرة وذلك أبلغ في التنفير ولم يكتف بذلك حتى قال انه كان فاحشة والفاحشة ما اشتد قبحه من الذنوب ولم يكتف بذلك حتى قال وساء سبيلا أى قبح طريقا للتعدى على اعراض الناس بغصب الاعراض واثارة الفتن وفي التعبير بساء سبيلا مبالغة أخرى وهى انه تعالى أسند القبح الى طريقه الموصلة اليه لان التمييز هنا محول عن الفاعل فالمعنى ساءت سبيله أى قبحت طريقه الموصلة اليه وقال تعالى « ألزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » وهذا في غير المحصن الذى تزوج أما المحصن فحده الرجم كما ثبت فى السنة وتأمل الى قوله تعالى « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » تجده ناشئا عن غضب شديد منه سبحانه وتعالى وكذلك قوله « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » فانه شرع فضيحتهما ليكونا عبرة لانفسهما ولغيرهما فقد ظهر من هذا ان الزنا من أفحش الفواحش وأقبح الذنوب فى جميع الاديان والازمان وعند عموم الناس على اختلاف المذاهب والاجناس وان من المتفق عليه عندنا وعند أهل الكتاب ان الانبياء هم سادات البشر وأشرفهم وأفضلهم وأحبهم الى الله تعالى وأعلاهم منزلة لديه وأطهرهم من كل رجس يشينهم عنده وعند الناس ولا شك انه تعالى ما اتخذهم وسائط بينه وبين خلقه لتبليغهم شرائعه اليهم حتى جعل بينه وبينهم مناسبة قوية بشدة طهارتهم وصفائهم الى درجة فاقوا الناس كافة أهلتهم لان يتلقوا الوحى عنه تارة بالالهام بلا واسطة بينهم وبينه تعالى وتارة بواسطة الملك النورانى الذى يرسله اليهم وهو فى غاية الصفاء فيختلط بأرواحهم ويزاحمها فى دخول أجسامهم وينفث فى قلوبهم ما أمره الله به من الاحكام أو الاخبار أو ما شاء الله أن ينفثه فأرواحهم اذا لم تكن فى غاية الطهارة والصفاء كيف يمكنها أن تتلقى الوحى من الله بلا واسطة او بواسطة ملائكة الاطهار وهل اذا وقع من أحدهم زنا وهو أفحش الفواحش يبقى عنده من الصفاء ما يؤهله لهذا المنصب العظيم ومن أين تبقى عنده بعد ذلك مناسبة من الصفاء يسوغ له معها تلقى الوحى عن الله تعالى أو بواسطة الملك ثم ما هى المزية التى يمتاز بها عن أمته اذا ارتكب أفحش الفواحش التى لا يرتكبها الا أسفل الاسافل وأرذل الاراذل وكيف تقبله الامة بعد ذلك رسولا مشرعا أليس هذا من أقبح المنفرات وأشد المنكرات وكيف يرضى الله تعالى هذا الوصف الشنيع لانبيائه ورسله وصفوة خلقه ومحل نظره من عوالمه وهل يمكن أن يخلع الله تعالى عليهم خلعة النبوة والرسالة التى هى أفضل وصف يمكن للبشر الا بعد أن يجعل أرواحهم فى الطهارة والصفاء كأرواح الملائكة أو أشد وهل بعد هذا تبقى لهم نفوس شهوانية

تطلب الزنا فضلا عما يعلمونه من شدة قبحه عند الناس وعند الله وهل يمكنهم بعد قربهم من الله تعالى هذا القرب ومشاهدة عظمته وكبريائه وجلالة قدره ومعرفتهم بشدة قبح الزنا عنده تعالى وعند خلقه أن يرتكبوه ويجعلوا أنفسهم الشريفة من أسفل السفلة بارتكاب هذا الذنب الفاحش حاشا وكلا ☆ اذا علمت ذلك أيها المنصف الفهم سواء كنت من المسلمين أو من غير المسلمين تعلم يقينا ان جميع ما هو مذكور فى التوراة من القصص التى فيها نسبة الزنا والذنوب الفاحشة الى الانبياء الكرام فضلا عن السجود للاصنام انما هى أكاذيب وأباطيل لا صحة لها ألبتة دسها الزنادقة والملاحدة فى كتب الله تعالى لشدة كراهتهم فى أنبيائه الذين نشروا دينه بين خليقته وما زالت الزنادقة يعادونهم ويعادون أديانهم وأتباعهم فى كل زمان ومكان فما هو الذى تستبعده أيها النصرانى من ذلك وأنت تشاهدهم فى هذا العصر من الاعداء الالداء لكل دين على وجه الارض ويبذلون كل ما فى وسعهم لمحو الاديان كافة حتى يكون الناس كالبهائم الراتعة لا حلال ولا حرام ولا شرائع ولا أحكام أتظن ان الازمنة السابقة كانت خالية من هؤلاء الكفرة الفجرة أعداء الله ورسله وأنبيائه وأوليائه كلا ولو انك أيها النصرانى العاقل تأملت قليلا لما رضيت أن تنسب الى سادتك الانبياء أقبح الاوصاف الذى لو نسبه لك أحد أعدائك فضلا عن أصدقائك لضاقت عليك الارض بما رحبت ومع ذلك فأنت تنسب هذا الوصف الشنيع لاحب الخلق اليك وأعظمهم لديك ولا ترضى لنفسك أن تذكر حكايات الزنا والفواحش فى مجلس أو كتاب حتى كتب القصص المكذوبة فاذا طبعتها تحذفها منها وترضاها لكتاب الله تعالى التوراة وتنزه نفسك عن ذكرها فى كتابك اذا ألفت كتابا وتعد ذلك من قلة الحياء وسوء الادب ولا تنزه الله تعالى أن يذكره فى كتابه كما نزهت نفسك عن ذلك فأنت لو دققت أدنى تدقيق وأنصفت أقل انصاف لمقت نفسك غاية المقت وتيقنت انها على ضلال مبين وجهل عظيم فى هذا الاعتقاد القبيح الذميم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿الباب الثانى فى أوصاف الانبياء فى الديانة الاسلامية وغيرها والفرق بين عبد الله ورسوله سيدنا محمد وبين عبد الله ورسوله سيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام﴾ وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿الفصل الاول فى بيان أوصاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم﴾

☆ اعلم ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء وأفضلهم ذاتا ودينا وشريعة وأصحابا ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى دخل فى دينه أهل جزيرة العرب بأجمعهم وكانوا كلهم عباد أوثان وآمن به أيضا بعض أحبار اليهود ورهبان النصارى لما تحققوه من انه النبى المبشر به فى الكتب السماوية كالتوراة والانجيل والزبور وكتاب شعيا وغيرهما فانهم طبقوا تلك العلامات والاوصاف عليه صلى الله عليه وسلم فطابقت تمام المطابقة وقد وقع له صلى الله عليه وسلم من دلائل النبوة التى دلت على صدقه وانه نبى الله ورسوله حقا ما لا يعد ولا يحصى قبل وجوده وفى أيام حمله وبعد ولادته الى أن تنبأ وهو ابن أربعين سنة وحينئذ صدر على يده من المعجزات الباهرة الظاهرة أكثر من جميع النبيين ويعلم تفصيل ذلك بمراجعة الكتب المؤلفة في هذا الشان ومن أجمعها كتابى حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهى أنواع كثيرة وأجلها القرآن الذى عجز جميع الخلق عن معارضته ومنها انشقاق القمر والاخبار بالمغيبات وحنين جذع النخلة ونطق الجمادات وسلام الشجر والحجر وتكليم البهائم والبركة فى الطعام والشراب حتى صار ما يكفى الواحد منهما يكفى المئات والالوف وغير ذلك من أنواع الخوارق التى لا تحصى ولا حاجة للاطالة بذكرها هنا وليراجعها من شاءها فى كتابى المذكور وغيره من كتب معجزاته وسيرته النبوية صلى الله عليه وسلم ☆ ومنها ان الله تعالى قد عصمه من أعدائه مع كثرتهم وقوتهم وتكالبهم على قتله والفتك به فى الحروب وغير الحروب وانتصر عليهم صلى الله عليه وسلم حتى قتل من قتل منهم وأطاعه من أطاعه وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأكرم الناس وأعقل الناس وأعلم الناس وأحلم

الناس وأفضل الناس وأجمعهم لكل وصف جميل حتى كان فى أعظم الحروب
التى وقعت له يكون أول المحاربين ويتلقى صدمات الاعداء بنفسه الشريفة حتى
كان أصحابه وكلهم شجعان يلوذون ويحتمون به صلى الله عليه وسلم اذا اشتد
الحرب وكثر الطعن والضرب ومع هذه الشجاعة الخارقة للعادة والجاه العظيم
كان من الحلم على جانب عظيم لا يساويه ولا يدانيه فيه أحد بحيث انه اذا ظفر
بأعدى أعدائه يعفو عنه ويصفح وكان يعطيهم العطايا الكثيرة التى تعجز عنها
الملوك ويعيش فى بيته عيشة الكفاف وكان أصحابه مع كثرتهم من رؤساء الناس
وأكابر القبائل وغيرهم يتأدبون معه غاية الادب مع مباسطته اياهم ولطفه بهم
وعدم تكبره على أحد من خلق الله من صغير وكبير حتى كان لشدة تواضعه فى
جلوسه بينهم لا يعرف الغريب اذا دخل عليهم حتى جعلوا له فى آخر الامر مكانا
مرتفعا ليعرفه الداخل من بينهم صلى الله عليه وسلم وكانوا رضى الله عنهم فى غاية
الطاعة له لا يخالفه منهم أحد وقد جمع صلى الله عليه وسلم من الكمالات ما لم
يجتمع بأحد سواه حتى ان أعداءه كانوا يطلقون عليه الصادق الامين ومنذ نشأ
الى أن تنبأ ثم الى ان لقى الله تعالى لم يحفظ عنه كذبة فى أمر حقير فضلا عما هو
فوق ذلك أما العلوم التى فتح الله عليه بها فحدّث عن البحور الزاخرة ولا حرج
مع انه لا معلم له لانه عاش يتيما فقيرا بين قوم جاهلين وانما معلمه هو الله تعالى
بواسطة جبريل عليه السلام وبالالهام وكان أصحابه قبل اسلامهم فى غاية الجهل
فصادفوه بحورا من العلم الذى استفادوه منه صلى الله عليه وسلم وكان الاعرابى
الجلف يدخل عليه لا يعرف شيأ فيخرج من عنده بعد اسلامه ينطق بالحكمة
بمجرد حلول نظره الشريف عليه وحينما بعث صلى الله عليه وسلم كانت الجاهلية
قد ألقت بجرانها وأغرقت الناس بطوفانها وكلهم مشركون متفقون على عبادة
الاصنام لا يعرفون الحلال والحرام كالوحوش الضارية ينهب بعضهم بعضا
ويقتل بعضهم بعضا ويركبون الفواحش ويقطعون الارحام ففى هذه الحالة
أرسله الله تعالى اليهم فجمعهم على توحيده تعالى والتدين بدين الاسلام وأزال منهم

جميع تلك الاخلاق الوحشية والطباع الهمجية فصاروا بأقرب وقت ببركته صلى الله عليه وسلم سادة الانام ولم يمض بعد وفاته مدة يسيرة حتى نشروا التوحيد والعلم وفتحوا البلاد وعمموا دينه فى العباد وهدموا أعظم الدول وقتئذ وهى دولة الفرس والروم والقبط وغيرها من دول ذلك الزمان وقد بلغ عددهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم نحو مائة وخمسين ألفا لانه حج معه منهم حجة الوداع نحو مائة وعشرين ألفا سوى من تخلف عنها من الرجال والنساء وهم الذين حملوا دينه وشريعته وبلغوها الى أضعافهم من التابعين والتابعون بلغوها الى أضعافهم وهكذا الامة تبلغها الى الامة حتى وصلت الينا وخدمها من علماء أمته صلى الله عليه وسلم المتبحرين فى سائر العلوم العقلية والنقلية وأئمة الفقهاء والمحدثين والمفسرين مئات ألوف بل ملايين ولم يحصل ذلك لدين غير دينه وشريعة غير شريعته صلى الله عليه وسلم وقد حصل ببعثته صلى الله عليه وسلم من الاصلاح العظيم فى العالم مالم يحصل من عهد آدم الى وقته صلى الله عليه وسلم وكل اصلاح حصل بعد ذلك الى هذا الوقت ويحصل فى المستقبل الى قيام الساعة فانما أساسه ذلك الاصلاح العظيم الذى تأسس برسالته ونشر دينه صلى الله عليه وسلم وهذا لايجحده اعداؤه المنصفون من سائر الملل كالافرنج وغيرهم وكيف يجحدونه وهذه كتب التواريخ المشحونة بسيرته وأخباره صلى الله عليه وسلم قد ملأت الدنيا وكلها ألسنة ناطقة بأنه صلى الله عليه وسلم فرد العالم لم يخلق الله مثله لا قبله ولا بعده فهذا هو بالاجمال بعض أوصافه الشريفة صلى الله عليه وسلم المتفق على اتصافه بها ومن شاء التفصيل فليراجع كتب شمائله وسيرته صلى الله عليه وسلم

☆ قال الامام الغزالى فى الاحياء بعد ان ذكر شيأ من شمائله الشريفة وأخلاقه الكريمة وأوصافه الفائقة ومعجزاته الخارقة فأعظم بغباوة من ينظر فى أحواله صلى الله عليه وسلم ثم فى أقواله ثم فى أفعاله ثم فى أخلاقه ثم فى معجزاته ثم فى استمرار شرعه الى الآن ثم فى انتشاره فى أقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك فى صدقه صلى الله عليه

وسلم وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده ☆ وقد ذكرت في كتابي البرهان المسدد في اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين القطعية العقلية والنقلية ما لا يحتاج معه الى زيادة دليل لمن رزقه الله ذرة من التوفيق والهداية

﴿الفصل الثاني في الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام﴾

سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع كونه سيد أهل زمانه على الاطلاق وأفضلهم في كل وصف جميل بالاستحقاق كان بين قومه اليهود ضعيفا مستضعفا ذليلا مهانا لا نفوذ له بالكلية ولم يؤمن به من الناس الا جماعة فقراء مساكين صيادون وقدرهم اثنا عشر رجلا وهم الحواريون ولضعفهم وقلتهم وقد تخلوا عنه حين وقوعه بتلك الاهوال وهجوم أعدائه عليه حتى كفر به بعضهم وأنكره ودلهم عليه فهؤلاء الضعفاء هم كانوا أمته وأصحابه الذين بلغوا دينه ولم يقدر الله على يديه شيأ من الاصلاح العام في العالم ولم يقدر الله تعالى في حياته اجتماع الناس على دينه الحق الذي أرسله الله به وهو انه عبده ورسوله لا انه إله كما يزعمه النصارى ولا انه كاذب وابن زنا كما يزعمه اليهود لعنهم الله مع انه صدر على يده من المعجزات الباهرات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات ما يحملهم على الايمان به ولكنهم حسدوه وصلبوه وقتلوه بزعمهم كما قتلوا كثيرا من الانبياء قبله ولذلك غضب الله عليهم ولعنهم وسلبهم الملك وسلط الملوك عليهم وكانهم لم تؤثر معهم هذه المعجزات الظاهرة بل طمس الله بصائرهم عن مشاهدتها ففعلوا فيه الافاعيل الشنيعة كذلك النصارى لم يؤثر فيهم ما حصل له من الذل والهوان والعجز والضعف والقتل والصلب بزعمهم فادعوا فيه الالوهية رغما عن هذه الاوصاف التي تقضي عليه بالعبودية فهم قد ظلموه بزيادة التعظيم والتوقير حتى جعلوه إلها كما ان اليهود ظلموه بزيادة الاهانة والتحقير حتى صلبوه بزعمهم بعد ان قذفوه وقذفوا أمه الصديقة الطاهرة البتول عليه وعليها السلام

فانظر وتعجب الى النصارى كيف رفعوه بدون حق الى أعلى عليين وكيف ان اليهود خفضوه بدون حق الى أسفل سافلين صلوات الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين والحكمة والله أعلم فى تسليط اليهود عليه حتى فعلوا معه مافعلوا ان الله تعالى قد علم ماسيكون من النصارى فى اعتقادهم فيه الالوهية فقدر عليه ماقدره ليكون ذلك من أعظم البراهين وأقوى الحجج على خطأهم الفاحش فى هذا الاعتقاد . ومن هذا القبيل ماحصل لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه رابع الخلفاء الراشدين فانه مع كونه أشجع الصحابة وأعلمهم وأفضلهم بعد الخلفاء الثلاثة لم يحصل على يده حين خلافته شىء من الفتوحات مثل التى فتحوها فى أيام خلافاتهم بل اشتغل بالحرب الداخلية لاسباب يطول شرحها ثم تشوشت أمور خلافته وانتهى الامر بعجزه عن أعدائه وقتله غيلة وظلما وعدوانا رضى الله عنه ولعن قاتله فهذا حكمة أيضا والله أعلم ان الله تعالى علم انه سيدعى قوم فيه الالوهية فأظهر عجزه الى هذه الدرجة عن مقاومة أعدائه حتى قتلوه كما وقع لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام

الفصل الثالث فى الكلام على سائر الانبياء عليهم السلام

الانبياء كلهم أفضل الناس منزهون عن الذنوب والعيوب والارجاس وقد اختارهم الله لتبليغ رسالاته ونشر دينه بين خلقه وتعليم الناس كيف يوحدونه ويعبدونه سبحانه وتعالى فكان كل واحد منهم أفضل اهل زمانه فكل صفات الكمال التى تنبغى أن تكون فى البشر كالصدق والامانة ومكارم الاخلاق كانوا متصفين بها على أكمل الاحوال ولا سيما فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى وعبادته والتنزه عن معاصيه والتباعد عن سائر العيوب المنفرة للخلق منهم وماورد من ذلك مما ظاهره ارتكاب ذنب فهو ليس كالذنوب التى نرتكبها نحن ولا يجوز أن نقيس نفوسهم الطاهرة المقدسة على نفوسنا الخبيثة الملوثة بالشهوات ولكن بالنظر لقربهم من الله تعالى وعلو منزلتهم عنده عز وجل ومعرفتهم بعظمته وجلاله كان مايلزمهم من الادب معه تعالى والتنزه عن الذنوب والعيوب جليلها

وحقيرها أكثر مما يلزمنا باضعاف مضاعفة ولذلك اذا حصل من أحدهم أدنى قصور يحصل له العتاب من الله تعالى عليه ويطلق عليه لفظ المعصية وفى الحقيقة لا معصية ولو صدر منا أمثال ذلك لا يعد منا ذنبا ولا عيبا بالنظر لجهلنا وقصورنا وحجابنا عن معرفة الله تعالى المعرفة الكافية التى خص بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام فليست ذنوبهم من قبيل ذنوبنا التى نتعقلها فى أنفسنا هذا هو اعتقادنا واعتقاد جميع المسلمين فى نزاهة أنبياء الله تعالى صلوات الله عليهم

* وأما اعتقاد النصارى فيهم فهم كاليهود يجوزون عليهم ارتكاب الشرك والذنوب العظيمة ونسبوا الى بعضهم عبادة الاصنام والى بعضهم الزنا والى بعضهم غير ذلك من الآثام وحاشاهم ثم حاشاهم عليهم الصلاة والسلام

﴿الباب الثالث فى بعض أحكام الشريعة الاسلامية وحكمها المرضية﴾

وهو يشتمل على عشرة فصول

(الفصل الاول فى الصلاه)

أبدأ بالكلام على الصلاة وبيان حكمة مشروعيتها والفرق بينها وبين صلاة النصارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا وقد تقدم الكلام على الركن الاول فى ذكر العقيدة الاسلامية وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأتكلم هنا على حكمة الركن الثانى وهو الصلاة فأقول قد شرعها الله تعالى وصلة بينه وبين عباده عز وجل حتى لا ينسوه ولا يغفلوا عنه المدد الطويلة ولذلك شرعها لهم فى اليوم والليلة خمس مرات وجميعها لا تأخذ فى الوقت أكثر من ساعة وشرط لها الطهارة الكاملة فى البدن والثوب والمكان فيقف العبد متصورا انه بين يدى ربه عز وجل مستقبلا القبلة التى فرض الله عليه استقبالها وقت الصلاة لئلا يكون مشتت القلب لا يدرى أين يتوجه وفى هذه الحالة يتعبد ربه بالركوع والسجود والصفة المخصوصة التى شرعها الله لنا

والمقصود منها كمال الخضوع له تعالى ولم يحجر علينا تعالى ويعين لنا مكانا مخصوصا نصلي فيه كالجوامع مثلا بل جعل الارض كلها مسجد المسلم يصلي فيها حيث يشاء ولكنها في المساجد مع الجماعات أفضل وأكثر ثوابا لما في ذلك من التأليف بين المسلمين وعمارة بيوت الله تعالى التي يجتمع فيها الفقير والغني ومن له مأوى ومن لا مأوى له ومتى نوى أحدهم الدخول في الصلاة يحرم عليه الكلام والحركات الكثيرة حتى يبقى خاشعا لله رب العالمين ما دام فيها كمن يكون واقفا بين يدى الملك بالادب والوقار ولها أركان وشروط وسنن تشتمل على ما ينبغى فعله لها من الطهارة وستر العورة والقراءة وغير ذلك مما يعلمه أهلها وتشتمل من تمجيد الله تعالى على أنواع كثيرة كقراءة القرآن والتهليل والتكبير والتحميد والتسبيح والثناء الجميل مع التضرع وانقطاع العبد بكليته بقلبه وقالبه الى خالقه ورازقه عز وجل * وأما صلاة النصارى فهى لا بد لها من الاجتماع فى الكنيسة مع اختلاط النساء بالرجال وتلطخهم بالنجاسات فى أثوابهم وأبدانهم وأمكنتهم أيضا لابسين أحذيتهم مع تحقق النجاسات فيها اذ لا يشترط لها عندهم طهارة ومن اطلع على الصلاتين وكيفيتهما رأى بينهما فرقا عظيما ومن أهم أحكامها عند المسلمين الطهارة من النجاسات بل لا يجوز التلطخ بالنجاسة مطلقا فى جميع الاحوال سواء كان فى الصلاة أو خارجها ويطلب شرعا التطيب والاغتسال لجميع مواسم الاجتماعات فى الصلوات وغير الصلوات كايام الاعياد والجمعات وكذلك قص الاظفار وحلق العانة ونتف الابط وغيرها من أنواع النظافات وكل ذلك يخالف دين النصارى فانه لا نظافة فيه أصلا وربما يمضى على الواحد منهم المدد الطويلة وهو لا يمس الماء جسده ولا يستنجى من خروج الغائط فلو فرض ان رجلا من أغنيائهم فضلا عن فقرائهم عرى من ثيابه لوجد فى غاية القذارة وهو فى الظاهر مجمل بالملابس النظيفة ولو فرض ان عبدا حقيرا من فقراء المسلمين المحافظين على الصلوات عرى من ثيابه لوجد فى غاية النظافة من النجاسات وهم أيضا لا يغتسلون من الجنابة كالمسلمين وحكمته ظاهرة فان الانسان يحصل له فتور

فى جميع جسمه فبالاغتسال يرجع اليه نشاطه

﴿الفصل الثانى فى حكمة مشروعية صيام رمضان﴾

اعلم أن صيام المسلمين وهو الامساك عن الاكل والشرب من طلوع الفجر الى غروب الشمس هو الصيام المشروع الذى شرعه الله لانبيائه السابقين وأممهم ولكنه تعالى خص هذه الامة المحمدية بشهر رمضان فهو من الشرائع المتقدمة وهو الذى كان يصومه سيدنا عيسى عليه السلام ولكن علماء النصرانية فى الاعصر السابقة رتبوا لهم صيامهم هذا وأباحوا لهم الاكل والشرب وتلاعبوا فى دين الله بحسب اهوائهم ووضعوا لهم احكاما كثيرة من عند أنفسهم لم يأذن بها الله تعالى والا فالفائدة من صيام لا يترك صاحبه الاكل والشرب وهو انما شرعه الله تعالى لخلقه لرياضة نفوسهم بمنعها من الطعام والشراب حتى تصفو أرواحهم وتستنير قلوبهم وتضعف علائقها بطبائعهم البشرية وتقوى روحانيتهم ومناسبتهم مع العالم العلوى وهم ملائكة الله تعالى الذين لا يأكلون ولا يشربون وانما يعيشون بتسبيح الله تعالى وتقديسه وعبادته فحكمة مشروعية الصيام انما هو التشبه بأولئك الملائكة الكرام من ترك الشراب والطعام والظاهر ان علماء النصارى الذين وضعوا لهم صيامهم لم يفهموا هذه الحكمة ولو فهموها لما أباحوا لهم ما أباحوه اذ لا فرق بين أكل الزيت وأكل السمن وأكل الخبز وأكل اللحم فكل ذلك هو متساو فى مخالفة الحكمة الالهية فى مشروعية الصيام وهى التشبه بالملائكة الروحانيين كما علمت

﴿الفصل الثالث فى حكمة مشروعية الزكاة﴾

وهى انما تلزم الاغنياء المالكين للمال الذى تجب فيه الزكاة وهى تطهر أصحابها من الآثام وتطهر ذلك المال من اختلاطه بالمال الحرام الذى هو حق الفقراء فى أموالهم اذ لم يعطوه اليهم بالصفة التى شرعها الله تعالى ومشروعيتها فى غاية الحكمة رحمة بالفريقين لان الفقراء هم فى حاجة للمال والاغنياء فى حاجة للثواب وغنية عن ذلك القدر الزائد من المال ولا يليق أن يكونوا بتلك الوسعة من الغنى

وفقراؤهم ينظرون اليهم بعين الاحتياج فلا ينالون منهم خيرا والله تعالى هو رب الفريقين ✡ وناظر للمصلحتين فشروعيتها فيها كمال النفع للجهتين ✡ ولذلك كانت ركنا من أركان الاسلام ✡ وليس فى دين النصارى زكاة واجبة على وجه الالزام ✡ وهذا من النقص فى الدين لا من التمام ✡ فاهم حرموا الاجر الجسيم الذى يترتب على هذا الركن العظيم ✡ ومهما أنفقوا من الصدقات ✡ لا يبلغ ثوابه ثواب فرائض الزكوات ✡ وان كان هو أيضا من جملة الخيرات ✡ ولكن فرق بين رضى الملك ممن يطيعه بتنفيذ أوامره الحتميه ✡ ورضاه ممن يطيعه بتنفيذ أوامره الاختياريه ✡ ومازلنا نسمع فى أوروبا وقوع الموت في كثير من الفقراء بسبب الجوع فى المدن الكبيرة وعواصم الدول فضلا عن غيرها مع كثرة الاغنياء فيهم الى درجة لا يمكن وصفها وهم مع هذه الحالة يتظاهرون في بلاد غيرهم بحب الخيرات والمبرات ✡ وينفقون كثيرا من النفقات ✡ على المدارس وعلى الفقراء ليستجلبوهم بذلك الى حبهم والدخول فى دينهم وكان الأولى بهم أن يصرفوا بعض هذه النفقات على من يموت جوعا فى بلادهم وهذا كله والله أعلم لكون زكاة أموالهم غير واجبة فى دينهم ولو كانت واجبة وصرفوها للفقراء لما ماتوا من الجوع

✺ الفصل الرابع فى حكمة مشروعية الحج الى بيت الله الحرام ✺

قد شرعه الله تعالى لحكمة عظيمة وهى اجتماع المسلمين من سائر أقطار الارض في مكان واحد وهو مكة المشرفة وجعل لهم هذا المكان بمنزلة بلد الملك التى تلتجىء اليها رعيته وخصص لهم فيها بيتا جعله بمنزلة بيت الملك الذى يتوجهون اليه ويطوفون به لقضاء حوائجهم وهو البيت الذى جعله قبلتهم يستقبلونه فى صلاتهم أينما كانوا كل ذلك لتجتمع قلوبهم على الله تعالى ولا يكونوا حيارى لا يعرفون أين يتوجهون لان الله تعالى منزه عن الزمان والمكان لا تحويه الامكنة كما لا تحويه الازمان هو القديم الذى لا أول لوجوده ولا نهاية له كان موجودا قبل أن خلق الزمان والمكان وأبدع جميع الاكوان وهو الآن على ما عليه كان والارض والسماء عنده سواء لا تحصره الارض كما لا تحصره السماء وانما جعل السماء مأوى

خلائق من الملائكة كما جعل الارض مأوى خلائق من الانس والجن ولكنه شرف السماء على الارض بأن نزهها عن وقوع المعاصي فيها اذ جعلها مأوى ذلك الملا الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لانه لم يركب فيهم الشهوات التي تنشأ عنها الخطيئات وهم وان كانوا أعرف بالله تعالى من أنواع الانس والجان وأكثر عبادة له لانهم مشغولون بذلك على الدوام الا انهم محجوبون عن معرفة حقيقته تعالى كاهل الارض سواء بسواء ومنهم الملائكة الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقد جعل الله بيته الحرام نظيرا ومثالا لعرشه وجعل الطائفين به من البشر كالملائكة الحافين من حول العرش قاله سيدى محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكية ثم كرره بعبارة أخرى فقال جعل الملائكة حافين من حول العرش بمنزلة الحراس الذين يدورون بدار الملك الملازمين بابه لتنفيذ أوامره وجعل الله الكعبة بيته ونصب لطائفين به على ذلك الاسلوب اه والمكلف بالحج هو من يستطيع السفر اليه ويملك النفقة التي تلزمه لسفره ولعياله مدة غيابه عنهم ومتى ذهب المسلم الى تلك الاماكن الطاهرة ورأى ذلك البيت المعظم الذى هو في غاية الهيبة والوقار لا يمكنه غالبا أن لا يبكى بكاء الفرح والسرور لشدة ما يطرأ عليه من رقة القلب والخشوع فيطوف به معتقدا انه بيت مبنى من احجار لا ينفع بنفسه ولا يضر سوى ان الله خصصه لالتجاء عبده المسلم وكلفه بتكاليف شرعية تتعلق به فهو يؤديها كما أمره الله تعالى كما يلتجىء الناس الى بيوت ملوكهم ويلوذون بها لقضاء حوائجهم والله تعالى ليس شخصا مجسما حتى يلجؤا اليه فجعل لهم هذا البيت مرجعا يرجعون اليه وعلامة على أن من طاف به وأدى ما فرض عليه فقد قبله الله تعالى ورضى عنه كما يرضى الملك ويقبل من يلتجىء الى قصره من رعيته وهناك أرض فسيحة عليها جبل صغير تسمى عرفات يقف فيها عموم الحجاج يدعون الله تعالى ويبتهلون اليه وهو بمنزلة ساحة عظيمة خصصها الملك لرعاياه ليجتمعوا فيها في يوم مخصوص كل عام ويمجدوه ويطلبوا منه حوائجهم فيقضيها لهم فهذه حكمة الطواف بالبيت والوقوف

بعرفات وهما أعظم أركان الحج وله أفعال أخرى تعبدنا الله بها فنحن نطيعه بها ونفعلها كما أمرنا سواء فهمنا حكمتها أولم نفهم ومن عمل بأمر الملك بدون فهم الحكمة فهو أشد طاعة له وأحق برضاه ممن لا يطيعه الا اذا فهم الحكمة وبعد حجهم الى بيت الله الحرام يتوجهون الى المدينة المنورة لزيارة خير الانام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أكبر الناس عليهم نعمة مكافأة له على ان كان واسطتهم العظمى في نعمة الايمان ✡ التي يترتب عليها الخلود فى الجنان ✡ والنجاة من النيران وليتوسلوا به الى الله تعالى فى قضاء حاجاتهم ✡ ومغفرة زلاتهم ✡ وتستحسن زيارته صلى الله عليه وسلم قبل الحج وبعده وفى كل زمان لم يوقت الشارع لها وقتا مخصوصا ✡ وأما سفر النصارى الى بيت المقدس وزيارة كنيستهم الكبرى فهو لا أصل له في دين سيدنا عيسى ولم يأمرهم به ولكنهم هم ابتدعوه لما اعتقدوا أنه عليه السلام صلب في ذلك المكان فهم يتحملون المشقات العظيمة من البلاد البعيدة على الاوهام التى لا حقيقة لها لان الله تعالى لم يكلفهم بذلك وليس المسيح عليه السلام مقبورا هناك ولا هو مكان حصل له فيه تبجيل وتعظيم وعز وشرف حتى يعظموه بتلك الاوصاف بل بالعكس حصل له فى ذلك المكان غاية الاهانة ونهاية الذل والتعدى والظلم والجور من أعدائه حتى صلبوه بزعمهم فكان ينبغي لهم بسبب ما حصل من ذلك في هذا المكان أن يعتقدوه أشأم بقعة فى الارض وأبغضها الى الله تعالى لما وقع فيها من ذلك الظلم الذى لا ظلم فوقه على أحب خلقه اليه وأفضلهم عنده وأعزهم عليه من أهل ذلك العصر فكان يلزمهم أن يبغضوا أيضا ذلك المكان ويهجروه هجرا مؤبدا فتعظيمهم لذلك المكان وللصلب غير معقول ولا مقبول ✡ ولا تستحسنه العقول

﴿الفصل الخامس فى بعض نوافل العبادات﴾

اعلم ان أركان الاسلام الخمسة السابقة بعضها يتعلق بالبدن وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وكذلك الصلاة والصيام وبعضها يتعلق بالمال وهو الزكاة وبعضها يتعلق بالمال والبدن وهو الحج وكل واحد من الاركان الخمسة

المذكورة يوجد من جنسه نوافل لها ثواب عظيم ورد الترغيب فيه فى الكتاب والسنة عن الله تعالى ورسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم فمن جنس الشهادتين أنواع ذكر الله تعالى من تهليل وتكبير وتحميد وتسبيح واستغفار وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ومن جنس باقى الاركان أيضا نوافل صلوات وصيام وصدقات ونوافل الحج والعمرة وكلها ورد فى فضلها آيات قرآنية وأحاديث نبوية ۞ امتلأت منها الكتب الدينية ۞ وقد فاز بها الصالحون ولا سيما سادتنا الصوفية ۞ فقد منحهم الله بالمداومة على تلك الاذكار والعبادات واجتناب جميع المنهيات مامنحهم من الاسرار والانوار ۞ وصاروا من أفضل عبيده الاخيار ۞ ومن شدة اعتنائهم بذلك صارت عندهم النوافل كالفرائض فى ملازمتها ۞ والمكروهات كالمحرمات فى مجانبتها ۞ بحيث أنهم أطاعوا سيدهم وهو الله تعالى بقدر استطاعتهم فعملوا بجميع ماشرعه لهم أمرا ونهيا تابعين فى ذلك رسوله الاكرم صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة والسلام كثير العمل بجميع نوافل العبادات البدنية والمالية تشريعا لامته ورغبة فى زيادة الخير مع عدم احتياجه اليه بكثرة ماأعطاه الله له من النعم التى لاتساويها نعمه تعالى على جميع العالمين اجمالا وتفصيلا وكان صلى الله عليه وسلم يقوم الليل لصلاة النوافل حتى تورمت قدماه الشريفتان

﴿الفصل السادس فى حكمة مشروعية النكاح والطلاق وتعدد الزوجات﴾

اعلم ان حكمة مشروعية النكاح بقاء النوع الانسانى على الوجه المشروع وهذا متفق عليه عند سائر الملل أما حكمة تعدد الزوجات الى الاربع فهى طلب كثرة التناسل بشرط أن يقدر الزوج على الانفاق عليهن وأن يعدل بينهن فاذا لم يقدر على الانفاق أولم يعدل لايجوز له الا واحدة كما هو صريح القرآن فيرتكب بذلك اثما الا انه اذا لم يعدل بينهن يكون فى حكم الزانى لانه بعقد النكاح جاز له التمتع بهن فاذا لم يعدل كان مخالفا لامر الله تعالى فى ترك العدل وانما جاز ذلك مع وجود العدل والقدرة على الانفاق لتكثير النسل وبقاء النوع الانسانى والرجل مادام

حيا يجوز أن يحصل من نطفته الحبل اذا لم يطرأ عليها فساد بسبب انحراف مزاجه بخلاف المرأة فانها اذا تجاوز سنها الخمسين سنة ينقطع حبلها والعقم فى النساء أيضا كثير فلذلك جاز تعدد الزوجات ✿ وكذلك مشروعية الطلاق هى من أحسن أحكام الشرع المحمدى لوجود تمام الحكمة فى مفارقة الزوجين المتباغضين والا يترتب على عدم مفارقتهما فساد عظيم فاذا تفرقا يزول ذلك ويغنى الله كل واحد منهما بان يجد زوجا يوافقه فى طبعه فيحصل الائتلاف ويترتب على ذلك الخير العظيم من التناسل والراحة فى المعيشة واذا لم يتفرقا مع وجود التنافر بينهما ينظر كل واحد منهما من يوافق طبعه غير زوجه فيعاشره معاشرة غير مشروعة ويترتب على ذلك من اختلاط الانسان مالا يخفى ومن ذلك حجاب النساء عن الرجال فى الشريعة الاسلامية هو من أحسن محاسنها وموافق للحكمة تمام الموافقة لما يترتب على عدم الحجاب واختلاط النساء بالرجال من المفاسد الكثيرة والنصارى أنفسهم يقرون بذلك ولا أريد فى هذا تطويل العبارة فالعاقل تكفيه الاشارة وكثير من عقلائهم وذوى المروءة منهم يمنعون نساءهم من الاختلاط بالرجال والذهاب الى مواضع الرقص المسمى بالبالو وهى بدعة شنيعة ابتدعها الافرنج وفيها يحصل اجتماع النساء بالرجال بصفة لا يرضاها ذو حمية بحيث يحضن كل رجل امرأة أجنبية وهى تحضنه وهم لابسون ملابس لم تستر جميع أجسامهم ولا سيما النساء كاسيات عاريات وفى هذه الحالة يشتغلون بالرقص واحدهم ينظر زوجته أو بنته أو أخته مع رجل آخر على هذه الحالة وليس عنده بأس فهذا الامر لا يشك عاقل بأنه فى غاية الشناعة وهو عندهم مستحسن ولا يخفى ان هذه المفاسد انما نشأت من عدم مشروعية الحجاب عندهم ✿ أما الطلاق فقد ادركوا الاضرار التى تترتب على منعه فجوزوه رغما عن دينهم ولو امكنهم اتباع شريعة المسلمين فى حجاب النساء أيضا لفعلوا ذلك ولكن هذا الامر عليهم صعب فلا أظنهم يفعلونه لكثرة اختلاط نسائهم برجالهم فى محافلهم ومجتمعاتهم وأسواقهم وتجاراتهم حتى فى كنائس عباداتهم والقصد من ذكر هذا

ان الشرع المحمدى موافق لتمام الحكمة وهو الحق والصواب فى تعدد الزوجات ومشروعية الطلاق والحجاب

﴿الفصل السابع فى المعاملات الشرعية من بيع وشراء وغير ذلك﴾

اعلم أن أحكام المعاملات لا وجود لها فى الانجيل لانه انما اشتمل على قصص تاريخيه ☆ ومواعظ وحكم دينيه ☆ وفى التوراة شيء قليل من ذلك لا يجتمع منه مقدار ما اشتمل عليه أصغر كتاب من كتب المسلمين المؤلفة من المعاملات الشرعيه أما الشريعة الاسلامية فهى البحر الذى لا ساحل له وهذه كتبها ملأت الدنيا وقد اتفق على قبولها والشهادة بحسنها أعداؤها وأصدقاؤها فقد أجمعوا على انها لم يأت شريعة من الشرائع مثلها وهى موافقة للعقل والحكمة ومصلحة الناس في كل مكان وزمان حتى ان الفرنج يعلمون أحكامها فى مدارسهم وقد ترجموها الى لغاتهم وترجم الفرنساويون الى لغتهم المعاملات من مذهب الامام مالك رضى الله عنه وجعلوها قانونا يرجعون اليه فى أحكامهم ولو نظر العاقل المنصف الى هذا الشرع العظيم الواسع لعلم أنه شرع الله تعالى بلا شك أوحى به الى النبى صلى الله عليه وسلم مع كونه ولد فى بلده مكة المشرفة يتيما وعاش فيها أميّا بين قوم أميّين جاهلين ثم لما نبأه الله فى سن الاربعين اتفق قومه على عداوته وأذيته وقصدوا قتله ومازال معهم في جدال وجلاد وخلاف عظيم مع قوتهم وكثرتهم وهو يدعوهم الى توحيد الله تعالى وهم مصرون على عبادة الاصنام ويعرضون عليه أن يجعلوه ملكا فيهم ويترك عيب آلهتهم فيأبى ذلك ويصر على دعوة الناس لتوحيد الله تعالى ولم يزل الامر بينهم كذلك الى أن آمن به شرذمة قليلة منهم ومن أهل المدينة المنورة فهاجر اليها على تلك الحالة وبعد أن استقر فيها اشتغل فى جهاد الكفار بمن آمن معه ولم يزل الامر كذلك الى أن آمن به جميع أهل جزيرة العرب من أهل مكة والمدينة واليمن وغيرها الى أن توفاه الله تعالى وله من العمر ثلاث وستون سنة وقد أسس الدين على أساس راسخ عظيم بفضل الله وتوفيقه ونشر الله دينه بعده وأيده باصحابه ومن جاء بعدهم من المجاهدين في سبيل الله تعالى ومن

العلماء الذين نشروه بلا حرب ولا ضرب ولا جمعيات ولا نفقات كما يفعله النصارى الى أن عمت أنواره سائر أقطار الارض ودخل فيه العرب والترك والفرس والروم والجركس والبشناق والداغستان والكرج والقبط والبربر والسودان والجاوه وكثير من أهل الهند والصين وغيرهم من سائر الاجناس حتى بلغ الى الآن عدد المسلمين نحو الثلاثمائة مليون كل ذلك بفضل الله تعالى وتوفيقه والحمد لله رب العالمين وقد شرع صلى الله عليه وسلم هذا الشرع الواسع العظيم فى تلك المدة مع كونه أميا واشتغاله بعداوة الكفار وحربهم الى حين وفاته صلى الله عليه وسلم وفى ذلك دليل ظاهر باهر انه شرع الله تعالى أوحاه اليه اذ البشر عاجزون عن مثل ذلك بيقين

﴿الفصل الثامن فى حكمة مشروعية العقوبات الشرعية مثل قتل القاتل وجلد الزانى أو رجمه وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر ومن يقذف غيره بالزنا ونحوه﴾ اما قتل القاتل فقد قال تعالى «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب» ومعناها انه لولم يحصل قصاص بقتل القاتل لكثر القتل فى الناس وذهبت حياتهم ففى قتل القاتل تمام المحافظة على حياتهم لئلا يجترئ بعضهم على بعض اذا أمن من المجازاة وهذه الآية الكريمة فى غاية الفصاحة والبلاغة وافادة المعنى المقصود بأقصر عبارة وأجمعها وأبدعها كما يدرك ذلك من لهم ذوق وإلمام فى علم الفصاحة فكأنه يقول حياتكم فى القتل وانظر ما أبدع هذا اللفظ وأجمعه وانما أبدل القتل بالقصاص لانه قتل القاتل لا مطلق القتل فان مطلق القتل فيه موت الناس لا حياتهم وختم الآية بقوله يا أولى الالباب أى العقول لانهم هم الذين يدركون ذلك ويليق بهم الخطاب * وأما عقوبة المرتد بعد الاسلام بالقتل فهو مستحقها لانه قد جنى على نفسه فقتلها فى المعنى شر قتلة لانه جعلها مستحقة للخلود فى جهنم بعد نجاتها بالاسلام * وأما عقوبة الزانى بالرجم والجلد فهو لمنع هذه الجريمة العظيمة على الاعتراض التى يترتب عليها اختلاط الانساب فكان الزانى

بوضعه تلك النطفة على ذلك الوجه الممنوع شرعا قد جنى على الانسان الذى يتخلق منها بجعله ابن زنا واعدام شرفه وعلى نفسه أيضا بتضييع ولده وعلى المرأة كذلك وعلى جميع أقاربها بتلويث شرفهم بل وأقاربه أيضا مع جعل ذلك الولد منسوبا بالقوم ليس هو منهم يرثهم ويرثونه بدون حق فضلا عن العار الدينى والدنيوى والحاصل ان آفات الزنا والمحظورات التى تترتب عليه لا يمكن حصرها ومع معرفة الزناة بجميع هذه القبائح تغلب عليهم الشهوة الطبيعية فتعمى قلوبهم عن التفكر فيها ولذلك شدد الله تعالى فى جزائهم لاهتمامه تعالى فى المحافظة على اعراض الناس وأنسابهم * وأما عقوبة السارق بقطع يده فهى أيضا من أبدع الحكم وأعدل الاحكام لان يده هى كانت آلة التعدى على أموال الناس والمال يلى الروح فى الاهمية لان عليه مدار عمران الدنيا ومتى علم السارق انه اذا سرق تقطع يده يكف عن السرقة فيأمن الناس على أموالهم ويعيشون براحة ومن نوع السارقين قطاع الطريق وعقوبتهم أن يصلبوا أو يقتلوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم لانهم يسلبون راحة الناس وأموالهم وأرواحهم أيضا كما هو معلوم من أحوالهم ولذلك كانت عقوبتهم أشد من عقوبة السارقين ✡ وأما عقوبة شارب الخمر بجلده فهو قد جنى على نفسه أعظم جناية فعقوبته اقتصاص منه له لان أفضل ما فيه عقله وهو قد جنى عليه بازالته بشرب الخمر ولذلك استحق هذه العقوبة * وأما عقوبة القاذف وهو من يرمى غيره بالزنا ونحوه فهو أيضا بتعديه على عرض أخيه وشرفه العظيم الذى يعيش به سعيدا استحق العقوبة بجلده لئلا يجترىء الناس على قذف بعضهم بعضا وكم وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية فى تقبيح هذه الاجرام التى رتب الشارع لها هذه العقوبات لشدة محافظته على الدين والنفس والعرض والنسب والعقل والمال ✱ (تنبيه) ✱ اعلم انى بعد ان كتبت ما تقدم فى هذا الفصل من حكمة مشروعية العقوبات الشرعية فى الامور المذكورة راجعت شرح الامام اللقانى هداية المريد على قصيدته جوهرة

التوحيد فأحببت نقل عبارته هنا لما فيها من زيادة الفوائد قال رضى الله عنه عند قوله

وحفظ دين ثم نفس مال نسب * ومثلها عقل وعرض قد وجب

هذه تعرف عند القوم بالكليات الخمس أو الست * واعلم ان الغزالى وغيره من أئمة الاصول حكوا ان الكليات الخمس أو الست قد أجمعت الشرائع كلها على امتناع اباحتها وأطبقت على وجوب صيانتها لشرفها وكثرة المفاسد التابعة لانتهاك حرمتها وعلم من الدين بالضرورة وجوب حفظها يعنى ان حفظ هذه المذكورات واجب فى جميع الشرائع كما جاء به شرعنا أيضا حسبما أشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله فى خطبته المشهورة فان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام الحديث وفى آخره الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ولا شك ان هذا راجع لحفظ الاديان كما ان حفظ الانساب داخل تحت حفظ الاعراض ومن لازم التكليف بذلك حفظ العقل على ان الاحاديث الصحيحة جاءت مصرحة بذلك فما أباح الله تعالى العرض بالقذف والسباب قط ولا أباح الاموال بالسرقة قط ولا بالغصب قط ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المفسدات لها قط ولا النفوس والاعضاء باباحة القتل والقطع بغير حق ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرمة المحرمات قط ذكره القرافى وغيره فلحفظ الدين شرع قتل الكفار المحاربين والمفتونين من الزنادقة والمرتدين وعقوبة الداعين الى البدع والاهواء كما شرع لحفظ النفوس القصاص فى النفس والطرف أى بعض الاعضاء ولحفظ المال شرع حد السرقة وحد قاطع الطريق ولحفظ النسب شرع حد الزنا ولحفظ العقل شرع حد السكر والقصاص ممن أذهبه بجناية عمدا والدية فى الخطا ولحفظ الاعراض شرع حد القذف للعفيف والتعزير لغيره كاذاية الاعراض بغير القذف * وآكد هذه الكليات حفظ الدين ثم حفظ النفوس ثم حفظ العقول ثم حفظ الانساب ثم حفظ الاموال وفى

مرتبتها الاعراض انتهى كلام الامام اللقانى باختصار ونحوه فى شرح ابنه الشيخ عبد السلام وحاشية شيخ مشايخى الشيخ ابراهيم الباجورى رحمهم الله تعالى

(الفصل التاسع فى حكمة مشروعية إرقاق الارقاء)

اعلم ان الله تعالى قد شرع الرق وأباحه فى جميع الملل لانه تعالى خلق الناس وجعلهم درجات الغنى والفقير والقوى والضعيف وجعل عمران الكون موقوفا على ارتباط بعضهم ببعض وجعل كل صنف من هؤلاء نعمة على الصنف الآخر فان الغنى الضعيف لا ينفعه غناه وحده ولا بد له من أعوان يعينونه على أشغاله فأباح له الله تعالى أن يشترى من الارقاء بماله من يعينونه على أشغاله كما يحتاج الرقيق الى سيد يعيش بماله ويحسبه من جملة عياله وكرام الناس يعاملون ارقائهم كأولادهم اقتداء بالسيد الاعظم صلى الله عليه وسلم . فقد كان يعامل مولاه زيدا معاملة الابن بل تبناه بالفعل وكانوا يقولون له ابن محمد صلى الله عليه وسلم حتى نزل قوله تعالى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله» فصاروا ينادونه باسمه وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم فى المنزلة التى لا يفضل أحد ثم عامل صلى الله عليه وسلم بهذه المعاملة الجميلة أسامة بن زيد فكان عنده بمنزلة والده فى البر وحسن المعاملة حتى كانوا يسمونه الحب ابن الحب أى حبيب رسول الله وابن حبيبه وكان صلى الله عليه وسلم قد أعتق أباه زيدا قبل ولادته فهو مولى رسول الله وابن مولاه وابن مولاته أم أيمن بركة الحبشية ولم يجر عليه رق كأبيه وأمه رضى الله عنهم وانما شرع الله إرقاق النفس اذا كانت كافرة واستولى المؤمنون عليها بالمحاربة والقهر فللامام أن يضرب عليهم الرق اذا رأى المصلحة فى ذلك واذا رأى المصلحة فى اطلاقهم أطلقهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة أطلقهم ولم يسترق أحدا منهم ثم فعل كذلك فى غزوة حنين بعد ان قسمهم بين الغانمين فتوسل اليه بعض رؤسائهم فعفا عنهم وأرجعهم الى أهليهم وشرع الله عتق الرقيق وجعله من أعمال البر التى يترتب عليها الثواب العظيم

وكثير منهم بعد العتق لا يفارق سيده لان السيد المكرم لعبده هو أيضا نعمته على العبد كما ان العبد نعمته عليه كل منهما نافع للآخر والحقوق بينهم متبادلة وقد نهى الشارع عن ظلمهم وتكليفهم أكثر من طاقتهم ووعد الاجر العظيم على عتقهم والرفق بهم فالارقاق فى الشريعة الاسلامية هو من أحسن المحسنات وأنفعها للنوع الانسانى وهو شرع قديم شرعه الله تعالى للملل السابقة أيضا وقد منع بعض الدول فى هذا الزمان الارقاق وجبروا الناس على عتق ارقائهم ليحببوا بأنفسهم كفرة السودان الذين تجلب الارقاء منهم فى هذا الزمان ليسهل بذلك استيلاؤهم على بلادهم والا فهم يعلمون ان الناس محتاجون الى ذلك وهو نعمة على السادات والعبيد أيضا وأنت اذا نظرت الى بقاء أولئك العبيد فى بلادهم فى الكفر بالله تعالى والجهل بأمور الدنيا والآخرة والتعب والشقاء وخشونة العيش الى الغاية ثم نظرتهم بعد ارقاقهم ودخولهم فى دين الاسلام وعيشهم بين ساداتهم عيشة مرضية ومعرفتهم من أمور الدين والدنيا مالم يكونوا يتخيلونه لعلمت انهم قد ترتب على ارقاقهم سعادتهم الدنيوية والاخروية بل كثير من الارقاء صاروا ملوكا ومنهم دولة المماليك فى مصر فى الاعصر السابقة واذا رأيت هؤلاء العبيد الذين أعتقوهم بالرغم عن ساداتهم فى الاشغال الشاقة وبعضهم عاجزون لا يقدرون على الاشغال وأكثرهم يأوون الى خرابات لا تسكن ويعيشون عيشة لا ترضى بها الكلاب لعلمت انهم قد لحقهم بهذه الحرية من الاضرار أكثر مما لحق أسيادهم بهذا العتق الجبرى ومازالت الدنيا وأهلها هكذا معمورة من غنى وفقير وخادم ومخدوم وعمرانها موقوف على ذلك ولو كانوا كلهم أغنياء أو كلهم فقراء لما تم العمران فالله تعالى أعلم بمصالح خلقه وقد شرع لهم ذلك والحسن مااستحسنه الشرع والقبيح مااستقبحه الشرع والله أعلم

﴿الفصل العاشر فى سرد بعض المحرمات المتعلقة فى ذات الانسان نفسه أو معاملته مع الناس﴾

يحرم شرب الخمر وأكل المسكر كالحشيشة والافيون والبنج وأكل الدم والميتة وكل نجس ومستقذر ومضر ويحرم احراق الحيوان بالنار وتعذيبه ويحرم أكل الرباو الاحتكار والبيع على بيع الغير والشراء على شرائه وانفاق السلعة بالحلف الكاذب والمكر والخديعة وبخس الكيل والوزن والذرع والاستدانة مع نية عدم الوفاء أو مع عدم رجائه بأن لم يكن له جهة ظاهرة لوفاء الدين والدائن جاهل بحاله ويحرم مطل الغني بعد مطالبته من غير عذر وأكل مال الغير بغير حق ولاسيما اليتيم وانفاق المال في الامور المحرمة ويحرم ايذاء الناس ولاسيما الجار ولو ذميا كأن يشرف على حرمه أو يبني مايؤذيه مما لايسوغ له شرعا وكذلك يحرم البناء فوق الحاجة للخيلاء والتكبر على الناس ويحرم تغيير حدود الارض ويحرم اضلال الاعمى عن الطريق والتصرف في الطريق الغير النافذ بغير اذن أهله والتصرف في الطريق الشارع بما يضر الناس ويحرم خيانة أحد الشريكين لشريكه أو الوكيل لموكله ويحرم الاقرار لاحد ورثته بدين كذبا ليحرم باقي الورثة ويحرم عدم اقرار المريض بما عليه من الديون أو عنده من الاعيان لايفائها ويحرم الغصب والاستيلاء على مال الغير ظلما وتأخير أجرة الاجير أو منعه منها بعد فراغ عمله ويحرم منع الناس من الاشياء المباحة لهم على العموم أو الخصوص كالارض الميتة والشوارع والمساجد والمعادن والاستيلاء على ماء مباح ومنعه ابن السبيل ويحرم الخيانة في الامانات كالوديعة والعين المرهونة أو المستأجرة ويحرم النظر الى الاجنبية بشهوة ولمسها والخلوة بها وكذلك الامرد الجميل وتحرم غيبة الناس وذكرهم بما لايرضونه واستماع ذلك والرضا به وشتم الناس وذكرهم بما يكرهونه من الالقاب المكروهة والسخرية والاستهزاء والنميمة وهي نقل الكلام على سبيل الافساد وافساد المرأة على زوجها وافساده عليها وافشاء الرجل سر زوجته وافشاؤها سره ويحرم تصوير ذي روح على أي شيء كان من معظم أو ممتهن بأرض أو غيرها ويحرم التهاجر والتدابر

والتشاحن بين المسلمين ويحرم خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة ولو باذن الزوج ويحرم الزنا واللواط والقيادة والمساحقة بين النساء والقذف والسب واللعن والاستطالة فى الاعراض ويحرم عقوق الوالدين وقطع الرحم ويحرم تعذيب العبيد بالخصاء والتحريش بين البهائم ويحرم قتل المسلم أو الذمى وقتل الانسان نفسه والاعانة على القتل وحضوره مع القدرة على دفعه فلم يدفعه وضرب المسلم أو الذمى بغير مسوغ شرعى وترويع المسلم والاشارة اليه بسلاح أو نحوه ويحرم السحر وتعليمه وتعلمه والكهانة والطيرة والطرق بالحصى والتنجيم ويحرم البغى وتولية جائر أو فاسق أمرا من أمور المسلمين وعزل الصالح وتولية من هو دونه والجور والغش والظلم والدخول على الظلمة مع الرضا بظلمهم واعانتهم على الظلم والسعاية اليهم بباطل ويحرم هتك المسلم وتتبع عوراته حتى يفضحه ويذله بها بين الناس ويحرم اظهار زى الصالحين بين الناس وارتكاب المحرمات فى الخلوة ويحرم المداهنة ويحرم قطع الطريق أى اخافتها وان لم يقتل نفسا ولا أخذ مالا ويحرم الصيال على مسلم أو ذمى لارادة نحو قتله أو أخذ ماله أو انتهاك حرمته أو ارادة ترويعه وتخويفه ويحرم التجسس على جاره بأن يطلع من نحو ثقب ضيق فى دار غيره بغير اذنه على حرمه والتسمع الى حديث قوم يكرهون الاطلاع عليه ويحرم ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع القدرة بأن أمن على نفسه وماله ويحرم ترك رد السلام ومحبة الانسان أن يقوم الناس له افتخارا وتعاظما ويحرم قتل من له أمان أو ذمة أو عهد وغدره وظلمه ويحرم على الانسان أن يتولى القضاء والولاية وأن يطلبه اذا علم من نفسه الخيانة أو الجور أو الجهل بأحكامه ويحرم اعانة المبطل ومساعدته وأخذ الرشوة ولو على الحكم بالحق واعطاؤها على الباطل والسعى فيها بين الراشى والمرتشى وأخذ المال على تولية الحكم ودفعه ويحرم ايذاء الخصم والتسلط عليه والخصومة لمحض العناد بقصد قهر الخصم وكسره والمراء والجدال المذموم ويحرم دعوى الانسان على غيره بما يعلم انه ليس

له ويحرم الكذب وشهادة الزور وقبولها وكتم الشهادة بالحق ويحرم القمار وآلات الملاهي إ* هذا ما اخترت نقله من كتاب الزواجر للامام ابن حجر وهو كتاب لا نظير له في بابه جمع من المحرمات والآيات والاحاديث وأقوال الفقهاء المتعلقة بها شيأ كثيرا وقد اقتصرت على ماذكرته هنا للبيان ان الشريعة الاسلامية جامعة للامر بكل خير والنهي عن كل شر والله أعلم

* وقد تم تبييضها ونظر مؤلفها فيها في ربيع الثاني
سنة ١٣٢٦ من هجرة النبي الاكرم
صلى الله عليه وسلم والحمد لله
رب العالمين *



مختصر ارشاد الحياري

في

تحذير المسلمين

من مدارس النصارى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الاحد * الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وسيد خلقه وأفضل رسله وأحبهم اليه * وأقربهم من كل الوجوه لديه * وأشهد أن دينه هو دين الله الحق الصحيح الذى كلف به العباد * فى سائر الاعصار والبلاد منذ خلق الدنيا الى يوم القيام * قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام *(أما بعد)* فان أعظم بلية فى هذا الزمان على المسلمين هذه المدارس النصرانية التى افتتحوها فى سائر الاقطار والامصار وقد ألفت فى التحذير منها كتابى *(ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى)* وطبع منه مقادير وافرة فى مصر وبيروت وانتشر انتشارا عظيما وحصل به النفع العظيم والحمد لله ومع ذلك فما حصل به من النفع وان كان فى نفسه كثيرا من انكفاف بعض المسلمين عن ادخال أولادهم فى هذه المدارس الا انه قليل جدا بالنظر لكثرتها وشدة الرغبة فيها من فساق المسلمين ومراقهم وجهالهم الذين لا يدرون عواقب الامور وقد فتنتهم الدنيا وأنستهم الاخرى وهم جمهور الناس فرأيت من الضرورى زيادة نشر هذا الكتاب وذلك يحتاج لمصاريف كثيرة لطبع مقادير وافرة تنشر فى سائر الجهات ورأيت مما يعين على ذلك اختصاره بذكر ما لا بد منه من المعانى المقصودة فى أوراق قليلة تكون نفقتها قليلة وتحصل مطالعتها فى وقت قليل والله الهادى الى سواء السبيل * ولم أضع له اسما جديدا وانما سميته *(مختصر ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى)* ورتبته على مقدمة وعشرين فصلا وخاتمه

المقدمة

اعلم ان من أعظم المصائب على الملة الاسلامية * والامة المحمدية * ماهو جار في هذه الايام * في كثير من بلاد الاسلام * من ادخال بعض جهلة المسلمين أولادهم في المدارس النصرانية * لتعلم بعض العلوم الدنيوية * واللغات الافرنجية * ويتعلمون في بعضها كالمدارس اليسوعية ومدارس البروتستانت الديانة النصرانية * ويشاركون أولاد النصارى في عباداتهم الدينية * ومن لا يقبل هذا من المسلمين لا يقبلونه في مدارسهم فهذا شرطها الذي لابد منه وهو الحامل لهم على فتح هذه المدارس ولا يخفى ان ذلك كفر صريح * ولا يرضى به الله تعالى ولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا سيدنا المسيح

﴿الفصل الاول﴾ اعلم ان بعض المنكرات لا يحتاج لاقامة دليل يثبت انه أمر منكر بل بالنظر الى شدة قبحه وظهور شناعته يكفي في انكاره مجرد حكاية حاله مثلا اذا زنا رجل بامرأة نهارا في الملأ العام في مجمع الناس فهذا لا يلزمك اقامة دليل لتقبيح فعله بل مجرد حكاية حالته هذه القبيحة كاف للانكار والتشنيع عليه ومن ذلك بل أعظم والله من ذلك ما ارتكبه هؤلاء الفساق المراق من جهلة المسلمين من ادخال أولادهم في مدارس النصارى ولا سيما على هذه الشروط فاذا قلت فلان المسلم أدخل ولده الى مدرسة نصرانية بشرط أن يتعلم دين النصارى ويدخل الى الكنيسة مع أولاد النصارى ويعبد معهم عبادة النصارى فهذا الفعل بالنظر لكونه بلغ منتهى القباحة والشناعة * كما ان فاعله بلغ منتهى الضلال والرقاعه * لا يحتاج لاقامة دليل على اثبات قباحته وكونه من أنكر المنكرات * وأشنع الشناعات * بل مجرد حكايته * كاف لاظهار شناعته * وذم من ارتكبه من الجهال * وأهل الفسوق والضلال * ويا ليت شعري اذا كان هذا الجاهل الفاسق * أو المنافق المارق * لا يخشى الله * ولا يستحي من الله * ولا يخاف من العقاب * في يوم الحساب * فلم لا يستحي من جماعته * وأهل ملته * الذين يعيش هو وولده معهم في عار وشنار * بعد

ارتكابه هذه الافعال التي لا يرتكبها الا الاشرار * بل والله انه يسقط أيضا من عين الكفار * لانهم يقولون ان هذا الرجل ليس له دين * فلا ينظرونه نظر أمين * لعلمهم انه لا يريد تنصير ولده حقيقة بادخاله مدرستهم على شروطهم وانما يعلمون ان تهاونه في دينه أداه الى قبول ذلك * غير مبال بما يلحقه ويلحق ابنه في دينهما من المهالك * ومثل هذا أعظم عذر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح فاصنع ما شئت وهو قد نزع ربقة الحياء * وصار عنده الكفر والايمان والمدح والذم سواء

﴿الفصل الثاني﴾ اعلم اني قد أقمت في مدينة بيروت مدة طويلة تزيد الى الآن على العشرين سنة فاطلعت فيها على شيء من أحوال هذه المدارس النصرانية التي لا يجوز لكل مسلم أن يدخل اليها ولده أو من له حكم عليه بوجه من الوجوه وبيروت هذه هي أعظم مدن سواحل البحر الشامي وقد صارت في الازمنة الاخيرة مجمع الواردين من الاقطار البعيدة والقريبة من المسلمين وغيرهم ولذلك كان للافرنج فيها عناية مخصوصة ففتحوا فيها المدارس العظيمة وأنفقوا عليها النفقات الكثيرة وعمموا فيها التعليم وقبول التلامذة من سائر الملل ولكنهم جعلوا من أهم شروطها تعليم دين النصارى وفعل العبادة النصرانية في كنيسة المدرسة لكل التلاميذ ولم يفرقوا في ذلك بين أولاد النصارى وأولاد المسلمين فأولاد المسلمين ما داموا في تلك المدارس هم نصارى كأولاد النصارى من غير فرق وها أنا أسوق لك العبارة التي كنت قبل سنوات كتبتها على ظهر كتابي أفضل الصلوات على سيد السادات صلى الله عليه وسلم ثم أتكلم بعدها بما يفتح الله به وهي (بلاء عظيم يجب التيقظ له) ان مدارس الافرنج التي يفتحونها في البلاد الاسلامية يجعلون من أهم الشروط لدخولها تعليم التلميذ ولو كان مسلما دين النصرانية ودخوله في جملة التلاميذ النصارى الى الكنيسة في كل يوم الى العبادة وفعله معهم الافعال الدينية النصرانية ومن لا يقبل هذا الشرط لا يقبلونه ويوجد في بيروت جملة من هذه المدارس وفيها بعض أبناء المسلمين منها

المدرسة اليسوعية ومدرسة المطران المارونية وهم لا يلامون على ذلك لانهم يفعلون فى مدارسهم ما يوافقهم ويبنون شروطهم ولا يجبرون أحدا على الدخول وانما اللوم العظيم على المسلم الذى يرضى بدخول ولده الى هذه المدارس ينام ويقوم * ويدخل الكنيسة على الشرط المعلوم * والذى أقوله ان المسلم الحقيقى لايدخل ولده هذا المدخل الخطير الا لجهله بشرطهم المذكور أو لجهله بالحكم الشرعى فى ذلك * اما شرطهم فها هو نعلنه ليعلمه كل أحد * وأما الحكم الشرعى فى ذلك فهو شائع في كتب الشريعة الغراء ولا يخفى على أحد من العلماء * وها أنا أقتصر على نقل عبارة الامام القاضى عياض في كتابه الشفاء الشريف ليعلم حكم ذلك كل أحد ولا يبقى عذر بعده لمسلم * قال رحمه الله تعالى فى أواخر كتابه المذكور بعد ان ذكر أشياء كثيرة من المكفرات * وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعى الى الكنائس والبيع مع أهلها والتزيى بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس * فقد أجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام انتهت عبارته بحروفها * وبعد نشر عبارة هذا الامام * ومعرفة الحكم الشرعى فى دين الاسلام * واعلان شرط الدخول فى هذه المدارس لم يبق عذر لمن يدعى الجهل فى ذلك من المسلمين * فاذا أبقى أحد منهم بعد هذا ولده فى تلك المدارس وأمثالها فما هو الا من فقد اليقين * وعدم المبالاة بأمر الدين * نعوذ بالله من غضب الله انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور

﴿الفصل الثالث﴾ ومثل المدرسة اليسوعية فى كثير من شروطها التى لا توافق المسلمين المدرسة الكلية الاميركانية فى بيروت وهكذا مدارس الاميركان وغيرهم من البروتستانت فى جميع الدنيا وهى كثيرة جدا فى كل الجهات للذكور والاناث ومن أضر شروطهم على أولاد المسلمين تعليمهم الديانة

النصرانية مع أولاد النصارى وادخالهم معهم الى الكنيسة وقت عبادتهم وينفقون على استجلاب فقراء المسلمين مالا ينفقه غيرهم من الاحسان اليهم بالمال والثياب والكتب وأدوات التعليم وغير ذلك ولذلك كان ضررها على الاسلام والمسلمين أكثر من جميع المدارس حتى ان بعض تلك البنات والاولاد قد ارتدوا والعياذ بالله فوظفوهم معلمين فى تلك المدارس ورتبوا لهم معاشات كثيرة ومن سمع بمثل هذا ثم سمح بولده أو بنته فهو لا شك من الخاسرين * الفاقدين للعقل والمروءة والدين

(الفصل الرابع) ومن أعمال المدارس اليسوعية ان المعلم فى كل يوم صباحا يسأل جميع التلاميذ بهذا اللفظ (هل أنت بنعمة الله مسيحى فيقول له التلميذ نعم أنا بنعمة الله مسيحى) وقد أخبرنى من لا اشك فى صدقه قال لى كنت مرة جالسا فى المدرسة اليسوعية فى بيروت صباحاً فسأل المعلم التلميذ هذا السؤال وأنا جالس أسمع فكل من سأله من التلاميذ يجيبه بهذا الجواب وفى يد كل واحد منهم كتاب تعليم الدين المسيحى الى ان سأل تلميذا مسلما فقال له (هل أنت بنعمة الله مسيحى) فقال التلميذ لا أنا مسلم فغضب عليه المعلم وأخذ يشتمه بأقبح الشتم والتلميذ يقول له أنا مسلم ماذا أقول فقال له انظر في الكتاب هل في الكتاب مكتوب أنا مسلم ولم يزل يوبخه الى ان نطق بقوله أنا مسيحى انتهى ما أخبرنى به هذا الرجل ثم سألت عنه من كثير من الناس فأجابوا بأن هذا أمر محقق معلوم

(الفصل الخامس) أنظر أيها المسلم العاقل رحمك الله وأرشدك الى ما فيه رضاه الى اجتهاد الدول الافرنجية فى فتح المدارس فى بلاد الاسلام وانفاقهم عليها النفقات الكثيرة على ممر الشهور والاعوام واعتنائهم بشؤونها الاعتناء التام أتراهم يا أخى يفعلون كل ذلك شفقة منهم على ابنك المسلم وحرصا على نجاحه كلا والله لم يفعلوا ذلك الا لمقاصد مهمة * وفوائد لهم جمه * تقابل نفقاتهم واتعابهم أضعافا مضاعفة وهى كلها عليك وعلى ابنك وعلى دينك وأهل ملتك

دواهی عظمی * ومصائب کبری * یعلم ذلك جمیع العقلاء * ولا یخفی الا علی الجهلة الاغبیاء * فمن فوائدهم انهم یخرجون هؤلاء الصبیان الذین یتعلمون فی مدارسهم من دین الاسلام إخراجا حقیقیا بقلوبهم وان بقوا فی الظاهر مسلمین ویستجلبون محبتهم لهم محبة ممتزجة بلحمهم ودمهم ینشؤن علیها ویعیشون علیها وذلك بتعلمهم لغاتهم وعوائدهم وكتبهم وأحوال مشاهیرهم وتراجمهم ویرویها لهم المعلمون بأجمل الروایات وفی ضمن ذلك یذمون لهم عقائد الاسلام ومشاهیر المسلمین * وأئمة الدین * حتی ربما یتجاوزون الی سید المرسلین * وحبیب رب العالمین * صلی الله علیه وعلی آله وصحبه أجمعین * وتتكرر هذه الامور علی سمع الصبی المسلم فی عدة سنین * فلا یخرج من المدرسة الا وقد تجرد بالكلیة عن دینه وحمیته الاسلامیة * وصارت تلك الدولة الممدة للمدرسة التی تعلم فیها أحب الیه من دولته * وجنسیتها أحب الیه من جنسیته * معتقدا فیها وفی رجالها الكمال وهو لم یتعلم شیأ من دین الاسلام * وسیرة سیدنا محمد علیه الصلاة والسلام * ومناقب أصحابه الهداة المهدیین * وفضائل أئمة دینه المبین * وأحوال خلفائه الراشدین * ومن بعدهم من السلاطین * والامراء العادلین بل روی له عنهم شیاطین أولئك المعلمین عكس أوصافهم الجمیلة * ومناقبهم الجلیلة * فاعتقد فیهم رضی الله عنهم خلاف الكمال الذی اعتقده علی خلاف الحقیقة فی أعداء دینه * وهؤلاء التلامیذ یكبرون ویعیشون فی الظاهر من جملة المسلمین * وفی الحقیقة هم أعداء للملة والدین * وقد أشربت قلوبهم الزندقة والضلال المبین * وتری الواحد منهم لا یجد خلوة مع من یشاركه فی ضلاله * وسوء حاله * الا ویتذاكر معه فی الاعتراضات علی دین الاسلام ودولة الاسلام وعوائد المسلمین ویمدحون تلك الدولة صاحبة المدرسة التی كملوا فیها دروس الضلال * وتجردوا من الدین والكمال * ولا یزال یخرج من هؤلاء الزنادقة فی كل سنة من هذه المدارس النصرانیة عدد كثیر * فیجتمع منهم فی عدة سنین الجم الغفیر * جلهم أو كلهم علی هذا الحال * قد جعلوا الحق وراءهم ظهریا وما بعد

﴿الفصل السادس﴾ ومما يؤيد ما قلته من مقاصد الافرنج فى فتح هذه المدارس ما ذكره الفاضل محمد طلعت أفندى المصرى فى أواخر كتابه تربية المرأة نقلا عن مجلة سماها صاحبها وهو من مشاهير كتاب الافرنج مجلة العالمين بين فيها ما يبذله قومه من المساعى والاموال فى سبيل تعليم النصارى فى الشرق وغرس محبة دولته فى أفئدتهم ليكونوا لها مصانع وأحزابا ثم قال ومع ذلك فهذه المساعى لم تنتج تمام الغاية المقصودة منها لتباين الطوائف النصرانية فمن الضرورى جمع شتات هذه الفرق حتى لا يعاكس بعضها بعضا ومتى صاروا فرقة واحدة تمكنوا من مقاومة المسلمين والاعتلاء عليهم * وفى كلامه على المدارس النصرانية التى اتخذوها سبيلا الى غاياتهم المنكرة شط به القلم فأظهر ما تكنه صدور القوم من العداوة والبغضاء لدين الله تعالى قائلا ان من الواجب على الامم النصرانية أن تعاكس الاسلام في كل طريق وتحارب أهله بكل سلاح * ثم رأى ان مقاومة الاسلام بالقوة لا تزيده الا انتشارا وان الواسطة الفعالة لهدم أركان الاسلام وتقويض بنيانه على ما قال هى تربية بنيه فى المدارس النصرانية والقاء بذور الشك فى نفوسهم من عهد النشأة فتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فانهم يصيرون لا مسلمين ولا نصارى مذبذبين بين ذلك * قال وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الاسلام و بلاده مما اذا اعتنقوا الديانة النصرانية وتظاهروا بها * ولما انتقل الى ذكر تربية بنات المسلمين نفض كل ما في جرابه فقال ان تربية أولاد المسلمين فى المدارس النصرانية وان كان لها من التأثير ما بيناه فان تربية البنات في مدارس الراهبات ادعى لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى نفس الغاية التى وراءها نسعى * قال بل أقول ان تربية البنات بهذه الكيفية هى التربية الوحيدة للقضاء على الاسلام من يد أهله ثم ذكر ما يترتب على دخول مدارسهم من تغيير أخلاق المرأة المسلمة حتى تتغلب على

زوجها * ثم قال ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرة وأصبح الرجل في قبضة تصرفها فتؤثر في عقيدته وتبعده عن الاسلام وتربي أولادها على غير دين أبيهم وفي اليوم الذي تغذى فيه أولادها بلبان هذه التربية تكون قد تغلبت على الاسلام نفسه فتلك هي أقرب الطرق وأنجح الوسائل لمحاربة الاسلام بأهله دون جلبة ولا ضوضاء وهي لا شك ادعى لنوال المآرب وبلوغ المرام فليس لنا الا اتباعها * أما السعي جهارا في محاجة المسلم فانه يوقظ عوامل التعصب الكامنة في نفسه الساكنة بين جوانحه فلا يمكن تذليله وهذا ليس من الحزم انتهى كلام الكاتب الافرنجي قال بعده محمد أفندي طلعت هذه نفثات مصدورا كتفي بالاشارة اليها دون تعليق عليها وأرجو أن تكون عبرة للآباء وذكرى للامهات والابناء اه فليعتبر العاقلون وإنا لله وإنا اليه راجعون

﴿الفصل السابع﴾ ان المدارس المذكورة على ما فيها من هذه الاحوال والاهوال التي يأباها كل من في قلبه مقدار ذرة من الايمان صارت محط نظر الفساق والمراق من جهلة المسلمين في الجهات القريبة والبعيدة يرسلون اليها أولادهم بقصد تعليمهم اللغات الافرنجية * وبعض العلوم الدنيوية * ولا يبالون بما يضيعونه من دين الاولاد * وما يلحق عقائدهم الصحيحة من الفساد ولا شك ان الحامل لهم على ذلك مع شدة رغبتهم في الدنيا وأسباب الوصول اليها هو جهلهم بما يطرأ على أولادهم من تلك المدارس من المفاسد * واختلال العقائد هذا اذا لم يكن ذلك الاب هو نفسه مختل العقيدة مستهترا بالدين * لا يجمعه الا مجرد الاسمية وظاهر الجنسية مع المسلمين * وهذا لم يختر لولده المسكين * الا ما اختاره لنفسه من الضلال المبين * الذي هلك فيه منذ حين * أما الجاهل فيمكن تعليمه وارشاده فمتى عرف الحق واهتدى الى الصواب يرجى رجوعه الى ذلك * وانقاذ نفسه وولده من هذه المهالك * ومن ذلك اني كنت نصحت مسلما من أهل بيروت وضع ثلاثة أولاد له في احدى هذه المدارس فطلبت منه اخراجهم ووضعهم في مدارس المسلمين فقال لي انه أمين على ان أولاده

لا يصيرون نصارى بدخولهم فى مدارسهم لان دينهم ظاهر البطلان ولذلك نرى معظم أهله الذين نشؤا عليه وورثوه عن آبائهم وأجدادهم لا يعتقدون صحته لما فيه من المناقضات والمخالفات التي يأباها كل ذى ذوق سليم وعقل مستقيم فقلت له صدقت ولكن الاولاد اذا دخل على عقائدهم الفساد فقد صاروا كفارا سواء دخلوا في دين النصارى أو لم يدخلوا ولم أزل أراجعه فى ذلك حتى فهم الحقيقة وعرف الحق فأخرجهم وأدخلهم في مدارس المسلمين * والحمد لله رب العالمين

﴿الفصل الثامن﴾ يدخل الولد من أولاد المسلمين الى هذه المدارس النصرانية وهو سليم العقيدة جازم بوحدة الله تعالى * ورسالة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم * مؤمن بأن الدين عند الله الاسلام * وان الاديان كلها سواه باطلة * ليس فى عقيدته هذه أدنى ريب لانه فتح عينيه على ذلك * ورأى والديه وأقاربه وأهل ملته كذلك * وتعلم من معلمه المسلم القرآن ومبادى العقائد الاسلامية فلو دام على ذلك وعاش عليه بقى من أهل الاسلام * وانتهى به الامر الى دخول الجنة بسلام * ولكنه قبل أن تثبت فى قلبه العقائد الاسلامية الثبوت الذى لا يتزلزل * يدخل المدرسة من هذه المدارس النصرانية فيتنصر ظاهرا بقبوله الدخول مع أولاد النصارى الى الكنيسة وعبادته مثلهم ويتعلم أحكام دينهم فيربيه معلموه النصارى على ذلك * والمرء على ما ربى * والتعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر وهو صغير لم ترسخ بعد فى قلبه عقائد الاسلام تمام الرسوخ ولم يعرف من أحكام دينه الا القليل فحينما يستمر مدة على هذا الحال ينفث فى قلبه الشيطان وأعوانه المعلمون * واخوانه التلاميذ الضالون * احتمال صحة دين النصارى الذى هو اذ ذاك مشغول بتعلمه والتعبد به فمن حصل له ذلك ووقع فى قلبه احتمال صحة دين النصارى أو احتمال عدم صحة دين الاسلام يخرج الايمان من قلبه ويصير كافرا ظاهرا وباطنا والعياذ بالله تعالى

﴿الفصل التاسع﴾ كلما دام التلميذ المسلم فى تلك المدارس تزداد عقيدته فسادا ويزداد هو بعدا عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام وبقدر

هذا البعد يكون قربه من الشيطان وأعوانه وتوغله فى الكفر درجة درجة ولا يزال يتقدم فى الزندقة والالحاد خطوة خطوة وتدخل عليه الشكوك في العقائد الاسلامية واحدة واحدة حتى يفارق الدين * و يصير من جملة الكفرة الملاعين ولا يحتاج فى خروجه من المسلمين * ودخوله فى زمرة الكافرين * الاالى الشك فى عقيدة واحدة من عقائد دين الاسلام * كالشك فى صحة شيء مما هو معلوم من الدين بالضرورة مما جاء به سيدنا محمد سيد الانام * عليه الصلاة والسلام * كان يشك فى صحة آية واحدة من القرآن * اوالبعث بعد الموت والحساب والجنة ونعيمها الدائم الذى لانهاية له للمؤمنين * والنار وعذابها الدائم الذى لانهاية له للكافرين * فمتى دخل عليه أدنى شك فى شيء من ذلك فقد صار كافرا مستحقا للخلود فى النار والعياذ بالله تعالى * ومتى استمر فى تلك المدارس على هذه الحالة التعيسة يصير يترقى فى مراتب الكفر والشقاوة والزندقة والالحاد شيأ فشيأ وهو بذلك فى كل لحظة يهوى فى دركات جهنم الى ان يصل الى الدرك الاسفل من النار * وبئس القرار * والغالب فيمن يدخلون هذه المدارس الامن سلمه الله منهم وقليل ماهم انهم يصيرون بعد فساد عقائدهم الاسلامية منافقين زنادقة لايعتقدون دينا من الاديان * وهم فى الظاهر من أهل الاسلام * و يعيشون بين المسلمين مع فساد القلوب وقد يصلى بعضهم و يصوم حياء من الناس لئلايسقط من عيونهم وهذا أيضا قليل فان أكثرهم يتركون أركان الاسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج الى بيت الله الحرام

﴿فصل العاشر﴾ يقول بعض جهال المسلمين وفساقهم الذين لايبالون بالدين انا نضع أولادنا فى مدارس النصارى ونقبل هذه الشروط التى تخالف دين الاسلام لئلا يعيش أولادنا جهالا فنقول لهم ان مدارس المسلمين هى كافية لتعلم أولادهم مايريدونه من اللغات والعلوم الدينوية مع حفظ دينهم وزيادته بتعلم أحكامه وعقائده والمحافظة على الصلوات والعبادات والآداب والاسلامية

ونحن لا شك أعرف منهم فانهم انما يقودهم الشيطان بزمامين زمام جهلهم وزمام حرصهم على الدنيا وأسبابها ويلقنهم هذه الحجج الواهية وعلى فرض صحة ماقالوه نقول لهذا الأب الجاهل أيهما أحب اليك أن يكون ولدك عالما باللغة الافرنجية والعلوم الدنيوية * التى تريدها ويكون مع ذلك كافرا مخلدا فى جهنم * أو الاحب اليك أن يكون ابنك جاهلا بجميع اللغات والعلوم الدنيوية وهو مع ذلك مسلم مخلد فى الجنة * فان أجاب بالاول فهو كافر لا كلام لنا معه * وان أجاب بالثانى فهو المطلوب * ويتوب الله على من يتوب * وربما لقنه الشيطان ان يجاوب بأن ابنه يتعلم فى تلك المدارس على تلك الشروط ولا يكفر فهذا الجواب مكابرة بعد ان شرحنا حال هذه المدارس وان التلميذ بمجرد دخوله الكنيسة وعبادته معهم فقد كفر ثم يتدرج فى الكفر درجة بعد درجة الى أن ينطمس قلبه بالكلية والعياذ بالله تعالى فلا يلتفت الى زعمهم ان أولادهم لا تختل عقائدهم ولا يزالون محافظين على دينهم بالنظر لنجابتهم وذكائهم فلا يدخل عليهم الغش فى دينهم لان كلامهم هذا مردود من وجهين (الاول) ان الخلل فى دين أبنائهم ودينهم أيضا بذلك حاصل ولا بد لانهم بمجرد ادخال أبنائهم الى هذه المدارس على شرط دخول الكنيسة مع أولاد النصارى وعبادته معهم يحكم عليهم بالكفر ويحكم على من أدخلهم أيضا لرضاه بذلك والراضى بالكفر كافر (والوجه الثانى) ان ذكاء أولادهم لا يمنع من دخول الشكوك فى عقيدتهم ولو كانت أمورا محسوسة ظاهرة لجاز أن يتوقوا منها بذكائهم ونجابتهم ولكنها أمور معنوية * وخطرات شيطانية * تخطر فى القلب متى حصلت أسبابها سواء شاء الولد أو أبى وسواء كان ذكيا أو بليدا وأسبابها كثيرة جدا عندهم * ومامثل من يدعى معها سلامة دين ولده فى هذه المدارس الا كمن ألقى ولده الى سباع ضاريات جائعات وزعم انه يسلم منها

(الفصل الحادى عشر) فان قلت ان للنصارى مدارس لم يشترطوا فيها تعليم أولاد المسلمين دين النصرانية ودخولهم مع أولاد النصارى الى الكنائس بل

يعلمون فى هذه المدارس اللغات والعلوم الدينوية فقط فكيف الحكم فى هذه
فاعلم انه لايجوز دخول أولاد المسلمين وتربيتهم فى هذه المدارس أيضا لانهم
يتركون الصلوات والآداب الاسلامية ولا يتعلمون شيأ من عقائد دينهم وأحكامه
التى هم فى غاية الاحتياج اليها فى أول عمرهم بل يضيعون ماتعلموه منها فاذا تربوا
فى هذه المدارس يتعلمون الآداب النصرانية نحو عدم الاستنجاء والتضمخ
بالنجاسات وتمضى عليهم السنوات العديدة لايسمعون فيها كلمة التوحيد وتدخل
فى محادثاتهم ومحاوراتهم مع أولاد النصارى والمعلمين منهم جمل كثيرة تخل
بعقائدهم ادراجا فى اثناء العبارات وهم لايشعرون بذلك لانهم صغار لم يعرفوا
مايخل بالدين ومالايخل فترسخ في نفوسهم تلك المعانى المضرة وتتكرر هى وما
أشبهها على اسماعهم يوما فيوما وشهرا فشهرا وسنة فسنة فلايخرجون من
المدرسة الاوقد رسخ فى نفوسهم من الاعتراضات على الدين والمعانى المخلة فى
عقائدهم شئ كثير فيسترونه عن المسلمين ظاهرا وهم مصرون عليه باطنا وقد
علمت ان دخول الشك على المسلم فى صحة عقيدة واحدة من عقائده الاسلامية
موجب للكفر والخلود فى النار والعياذ بالله تعالى فان الايمان الذى يترتب عليه
النجاة الاخروية هو التصديق الجازم بأن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وانه تعالى
متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص وأن سيدنا محمدا
عبده ورسوله وانه صلى الله عليه وسلم أمين صادق فى جميع مابلغه وجاء به عن الله
تعالى من القرآن والسنة ومن ذلك أحكام دين الاسلام المعلومة من الدين
بالضرورة كالصلاة والصيام والحج والزكاة والبعث بعد الموت والحشر والصراط
والجنة والنار وكتحريم الزنا والربا وشرب الخمر وما أشبه ذلك مما أخبرنا به صلى
الله عليه وسلم عن الله تعالى فانه كله حق وصدق لاشك فيه ولاريب ومتى دخل
القلب أدنى شك في شئ من ذلك فقد خرج من دين الاسلام وقد علمت انه قلما
يدخل أحد الى هذه المدارس ويسلم من الشكوك والاوهام * فمن أحب الله
ورسوله ودينه لايدخل ولده فى هذه الاخطار العظيمة والسلام

﴿الفصل الثاني عشر﴾ قد ينفث الشيطان وأعوانه المعلمون فى هذه المدارس النصرانية وبعض التلاميذ من أولاد النصارى فى قلب التلميذ المسلم ان دين النصرانية هو الدين الصحيح ويقيمون له دليلا على ذلك كثرة النصارى وقوة دولهم وانتشارهم فى الدنيا ومعرفتهم العلوم الدنيوية وتقدمهم فى الصنائع الغريبة والاكتشافات العجيبة * واستيلاؤهم بسبب ذلك على كثير من أقطار الارض فيغالطون التلميذ المسلم ويقولون له هل يمكن أن يكون هؤلاء كلهم على الدين الباطل * ولا يخفى ان هذه المغالطات الواهية لا تروج على صغار العقول فضلا عن غيرهم لان الآخرة والدنيا ضرتان وصفات كل منهما تباين صفات الاخرى وأمور الدين غير أمور الدنيا * وقد اتفقت أهل الملل والنحل على ان الكفار فى جميع الاعصار هم أكثر من المؤمنين اضعافا مضاعفة لان كل ملة تعتقد انها هى المؤمنة الناجية وحدها وما عداها من سائر الملل كفار هالكون فلو صحت هذه المغالطة لأبطلت الاديان جميعها * فقد تبين ان مجرد الكثرة لا تدل على ان دين أصحابها هو الحق وكذلك القوة ومعرفة العلوم الدنيوية فان كل ملة أيضا تسلم انه يوجد في الملل الكافرة باعتقادها من هو أقوى وأعلم بالعلوم الدنيوية من كثير من أهلها فاذا مجرد القوة والغنى وهذه العلوم والصنائع لا تدل على حقية دين أصحابها فان صحة الدين لها دلائل أخرى وقد ظهر ظهور الشمس عند المخالفين من الافرنج وغيرهم فضلا عن الموافقين ان دلائل دين الاسلام * وحجج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام * أظهر وأوضح من دلائل جميع الاديان * وأقوى وأرجح من حجج كل الملل فى جميع الامكنة والازمان * ولذلك نرى كثيرا فى كل عصر ومصر كثرة الداخلين فى دين الاسلام * والخارجين من غيره من سائر الاديان * والحمد لله الذى أحسن الينا باتباع هذا الدين المبين وهو ولى الاحسان

﴿الفصل الثالث عشر﴾ الواجب عليك أيها المسلم أن تربى ولدك على دين الاسلام وتضعه مع أولاد المسلمين فى مدارسهم يتعلم معهم أمور دينه ودنياه ويحافظ على الصلوات ويتألف من صغره مع أولاد المسلمين فينشأ على محبتهم

ويزيد ايمانه بمخالطتهم والنظر اليهم ويستمر معه ذلك الى نهاية عمره وقد قال سيدنا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ان النظر فى وجوه المؤمنين يزيد فى الايمان * وبعكس ذلك ما اذا وضعته فى مدارس النصارى وقد قال الله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا * وقال تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم الى آخر الآية * وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق * وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتوله منكم فانه منهم وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وغير ذلك من الآيات فهل الصبى الذى ينشأ فى هذه المدارس مع أولاد النصارى ومعلميهم ويعبد عباداتهم ويتعلم دياناتهم ويأكل ويشرب وينام ويقوم معهم عدة سنين ليلا ونهارا يمكنه أن يعمل بهذه الآيات القرآنية التى يتوقف صحة ايمانه على العمل بها حاشا وكلا وكيف يمكنه ذلك وقد صار معلمو المدرسة كآبائه وتلامذتها كاخوته وجميعهم بحكم عائلته فضلا عن فساد عقيدته * وعدم معرفته شيأ من ديانته * ثم لو فرضنا ما هو كالمستحيل من خروجه منها بعد سنوات وهو غير مختل العقيدة فانه يكون جاهلا فى أحكام دينه ولا يعرف من الاسلام * ما يعرفه أقل العوام * ولا يتعلم وقتئذ لانه يكون قد ذهب وقت التعليم وصار مشغولا بالكسب والجد فى الدنيا ويكون تاركا للصلاة والصيام وعبادات الاسلام * لانه لم يعتد عليها من صغره بل ولم يتعلم أحكامها فتكون عليه ثقيلة كما نشاهده من جل أو كل من يخرجون من مدارس النصارى فانهم يكونون تاركين للصلاة والصيام وسائر العبادات الاسلامية ويعيشون على تلك الحالة التعيسة الى نهاية آجالهم * على أقبح أحوالهم * الا من سلمه الله وقليل ما هم

﴿الفصل الرابع عشر﴾ ان كنت أيها المسلم تحت حكم غير المسلمين مجبورا على وضع ولدك فى مدارسهم فاما ان تكون قادرا على الهجرة الى بلاد الاسلام الى تحت حكم المسلمين أو غير قادر على الهجرة وقد بين الله تعالى فى كتابه العزيز حكم ذلك على الحالتين فقال فى سورة النساء ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا * ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا * وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما * قال الامام البيضاوى فى تفسيره فى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه * قال وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض وجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام اه وقال محشيه الشهاب الخفاجى والهجرة من بلاد الكفار وبلاد لا يقام بها شعائر الاسلام واجبة كما نقله ابن العربى المالكى رحمه الله قال وكذا البلاد الوبيئة اه وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى شرح البخارى واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الارض التى يعمل فيها بالمعصية اه

﴿الفصل الخامس عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وتصديق قول النبى صلى الله عليه وسلم ظاهر للعيان ومصدق بالتجربة الكثيرة التى لا تحصى * ومعناه ان المولود يكون قلبه وهو صغير فى غاية الصفاء وعلى الفطرة وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها أى الخلقة التى خلقهم عليها من الاستعداد لقبول الدين * ثم أبواه يتسببان فى تهوده ان كانا يهوديين وتنصره

ان كانا نصرانيين ونمجسه ان كانا مجوسيين * وانما خص صلى الله عليه وسلم
هؤلاء لانهم الغالب فى أهل الاديان وقتئذ والا فكل أبوين يربيان ولدهما على
دينهما سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم من أهل الاديان الأخرى * ومثل
الأبوين المعلمون فانهم يتصرفون بدين الصبى كيفما يشاؤن فيخرج الصبى من
تحت أيديهم على الدين الذى ربوه عليه لاسيما اذا طالت مدة التعليم فان قلب الصبى
يكون مثل المرآة الصقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فأول شئ يلقنه الصبى ويتكرر
عليه يثبت فى قلبه ويستمر فيه لاسيما اذا أقام على ذلك سنين كثيرة كما هو حاصل
فى هذه المدارس فلا يخرج الا على دين المعلمين من النصرانية * أو الزندقة
والدهرية * ولا عجب من اليهوديين اللذين يهودان ابنهما أو النصرانيين
أو المجوسيين * وانما العجب من حالك أيها المسلم الجاهل فانك تنصر ابنك فى
وضعه فى هذه المدارس النصرانية وتسليمه الى هؤلاء المعلمين النصارى ولست
نصرانيا * وتجعله زنديقا دهريا ولست كذلك * أليس هذا بالعجب والامر
الغريب كل ذلك على وهم انه ينجح فى دنياه * فاتق الله فى نفسك وولدك والا
فعاقبتك عاقبة الوبال * والغرق فى ظلمات الكفر والضلال

﴿الفصل السادس عشر﴾ أيها الغلام المسلم الذى يريد أبوه أن يهدم دينه بادخاله
هذه المدارس لتوهمه تعمير دنياه اما لجهله واما لكونه زائغ العقيدة ليس من
أهل الاسلام فى الباطن وان كان فى الظاهر مسلما اياك أن تطيعه فى هذا الامر
العظيم الذى عاقبته عليك الكفر والضلال * والهلاك والوبال * فانك غير
مكلف بطاعته الا اذا أطاع الله تعالى وأنت تعلم بالمشاهدة ان دخولك فى هذه
المدارس النصرانية مضر بدينك غاية الاضرار وانك ان أقمت فيها خرجت من
دين الاسلام سواء أردت ذلك أم لم ترد * لان سم الكفر يدخل على قلبك
تدريجا شيأ فشيأ حتى لا تحس بنفسك الا وقد خرجت من المسلمين * وصرت
فى زمرة الكافرين * وحينئذ يكون خلاصك متعذرا أو متعسرا * فاياك ثم
اياك ان تضيع نفسك النفيسة وتوافق على نقلها من السعادة الابدية * الى

الشقاوة السرمدية * وخالف بذلك أمك وأباك * وكل من أراد لك الهلاك ومهما عمل فيك من أعمال القسوة والشدة ليحملك على طاعته في هذه المعصية العظمى * والداهية الكبرى * فلا تطعه فان الضرر الذى يترتب على دخولك فى هذه المدارس فى دينك لوقطعت اربا اربا حتى تخلص منه لما كان ذلك كثيرا ولا شك ان أباك الجاهل أو الزنديق المنافق اذا رأى منك الجد فى الامتناع يضعك فى مدارس المسلمين الخالية من هذه الاخطار * فتكون أنقذت نفسك من النار

﴿الفصل السابع عشر﴾

اعلم ان من جهال المسلمين من يتقرب الى قلوب النصارى والافرنج بوضع ولده فى مدارسهم و يتودد اليهم بذلك حتى يحبوه و يقولوا فلان ليس عنده عصبية دينية * فيا أيها الجاهل الفاسق لاى شىء أنت تتعير من نسبتك الى العصبية الدينية وتسترها عنهم وهم يفتخرون بها و يظهرونها بعدم وضع أولادهم فى غير مدارسهم مع ان دينهم من أبطل الباطل الذى ينبغى أن يتعير به حقيقة ودينك من أحق الحق الذى يفتخر به حقيقة * أما أنت منسوب لدين الاسلام الذى هو خير الاديان * وأفضل ما عبد به الرحمن * بل هو الدين الحق الوحيد * الذى ما على فضله وكماله فى السابقين واللاحقين من مزيد * فنحن والحمد لله لنا كل الفخر في هذه النسبة الشريفة التى لا أشرف منها

أنا ابن دارة معروفا بها نسبى * وهل بدارة ياللناس من عار

و ياليت شعرى ماهى العصبية الدينية هل هى الآن تمسك بدينك وتحل ما أحل الله وتحرم ما حرم الله وتحب فى الله وتبغض فى الله وهل الدين غير هذا وأنت تعلم دين الاسلام قد بنى على الاعلان والاظهار لا على التكتم والاستتار

والستر دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر

أما ترى الله تعالى كيف شرع الاذان فى كل يوم خمس مرات و بنو الذلك المآذن وأعلنوه غاية الاعلان وأظهروه غاية الاظهار على رؤس الاشهاد * فى جميع

البلاد * أتستره أنت أيها الجاهل الفاسق بتوهمك ان اظهاره عليك عار * وانك بذلك تستجلب مودة الكفار * أف لك من مسلم ساقط الهمة عديم النخوة هل سمعت قط ان عاقلا يجتهد فى ستر شرفه الذى لا شرف مثله ويتميز باعلانه * بين أعدائه واخوانه * ومن أعجب ما سمعت في هذا الباب ان رجلا من أكابر جهال المسلمين وهو من المحافظين على الصلاة والصيام وأنواع العبادات ويعد من صلحاء الجهال حضر في دعوة بعض أكابر النصارى فحينما وضعوا الخمر على المائدة وهو جالس عليها تناول كاسا وشربه خوفا من أن يقولوا انه متعصب فى دينه وظن بجهله ان هذا الخاطر الشيطانى يكون عذرا له ولا يخل بطاعاته * فانظر الى الجهل وآفاته

﴿الفصل الثامن عشر﴾ فان قلت انا نرى بعض أكابر المسلمين يضعون أولادهم فى هذه المدارس وهؤلاء لا بد أن يكون عندهم معرفة فى أمور دينهم ودنياهم فلو علموا ان فى ذلك ضررا لما وضعوا أولادهم * أقول كونهم من أكابر الدنيا لا يمنع فسقهم وجهلهم فى أمور الدين وهم انما يصلحون قدوة لامثالهم الفساق الجهال * لا لمسلم يهمه اجتناب الحرام واتباع الحلال * وهؤلاء وان كانوا بحسب الظاهر من الاكابر * فان نفوسهم من الاسافل الاصاغر *

وما ينفع الاصل من هاشم * ان كانت النفس من باهله

والا فلو كان هذا من أكابر المسلمين حقيقة لكان من أعظمهم محبة لدينه وملته * وأكثرهم غيرة على جنسيته ودولته * ولو كان كذلك لما أدخل ولده فى المدارس النصرانية فانه لا يخرج منها الا وقد انسلبت منه كل هذه المناقب الجليلة * والصفات الجميلة * فبالله عليك أيها المنصف هل يعد من هذه حالته من أكابر المسلمين أو من أصاغرهم * بل هو والله من أصغر أصاغرهم وأسفل أسافلهم * ويشهد بذلك نفس النصارى والافرنج الذين يضع ولده فى مدارسهم * ولذلك لم يختاروا هذه الحالة لانفسهم * فانا نرى مدارس المسلمين مهما كانت ناجحة لا يضع النصارى أولادهم فيها * بل لا يضعونهم فى مدارس طائفة أخرى منهم كل

ذلك محافظة منهم على دين أولادهم * فانظر وتعجب لهذا الرجل المخذول الذى يوضعه ولده فى المدارس النصرانية على الوجه المذكور قد عادى ربه ونبيه ودينه ودولته وأهل ملته بل عادى نفسه التى بين جنبيه وسقط بذلك من عين أعداء دينه الذين وضع ولده فى مدارسهم فانهم لا يثقون به بعد ذلك كمال الوثوق لانهم يعلمون ان من لا دين له لا أمانة له * وأما كون بعض من يضعون أولادهم من المسلمين فى مدارس النصارى هم من أكابرهم لا ينافى ذلك كونهم من أكثرهم جهلا * وأقلهم فى أمور دينهم عقلا * وان كانوا بحسب الظاهر * من ذوى الاحلام * وأكابر الانام

﴿الفصل التاسع عشر﴾ فيجب ويفترض على كل مسلم له قدرة على اخراج بعض أولئك الاولاد من المسلمين من المدارس النصرانية ان يخرجهم بما يقدر عليه اما بأن يكون والد ذلك الصبى أو وليه صديقا له فينهاه ويلح عليه بالترهيب والترغيب واما أن يكون له مناسبة مع بعض أصدقائه فيحيلهم عليه واما بأن يبلغ أمره الى أحد من ينفذ عليه أمرهم من حاكم وغيره واما بأن يعطيه مالا ان كان الحامل له على ادخال ولده الفقر والحاجة كما هو حاصل فى مدارس البنات التى افتتحها البروتستانت فى أكثر البلاد * والحاصل انه يجب على كل مسلم بكل حيلة وكل وسيلة تمكنه أن يخرج ذلك الصبى أو الصبية واذا قدر على ذلك ولم يفعله فهو آثم مستحق للعقاب من الله تعالى

﴿الفصل العشرون﴾ فيا علماء الاسلام * ويا فرسان الكلام * ويا خطباء الجامع والمنابر * ويا صدور المحافل والمحاضر * أين أنتم ما بالكم لا تنصحون هؤلاء العوام * الذين هم فى أمور دينهم كالانعام * وان كان بعضهم فى دنياه من ذوى الاحلام * أما تنظرون كيف ضل هؤلاء الجهال المساكين * وكيف تلاعب بهم الشيطان واخوان الشياطين * فصاروا يقودون أولادهم باختيارهم الى مراتع الضلال * ولا يبالون بما يطرأ عليه من اختلال العقيدة الاسلامية بحال من الاحوال * لما يتوهمونه من صلاح دنياهم وان هلك الدين * وفارقوا جماعة المؤمنين